

الخط المغربي بين التجريد والتجسيد

دراسة تاريخية - فنية مرّحّلة

مخطوطات مريّنة وسعدية



عين فك الأسد
مكتبة من مصنف
الأبيرة مريم السعدية



هـ عين الهر مكتبة من
مصنف القاضي العوجدي



هـ قرن الغزال مكتبة من
مصنف القاضي السعدي



هـ أن الخرس مكتبة من
مصنف أبي سعيد المريّني



عند مكتبة من
مصنف القاضي السعدي



مكتبة من إجازة علمية كتبها
أبو طلّون بخط ميوخر



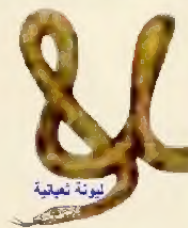
مكتبة من مصنف كتب بخط ميسوط
في عهد أبي يعقوب يوسف المريّني



حاجب مقوس



كاف زناحية مكتبة من مصنف
أبي يعقوب يوسف المريّني



ليونة تعالّية

العين التعالّية، مكتبة من مصنف
أبي يوسف يعقوب المريّني

زيادة تعالّية

لام الألف التعالّية، مكتبة من
من لكتبة "الحادي الموطأ"

لوحة من تصميم المؤلف

د. محمد عبد الحفيظ خبطة الحيدني



مطبعات أمّ الأضاري - فاس
جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى: 2013

د. محمد عبد الحفيظ خبطة الحسني

الخط المغربي بين التبريد والتجسيد

دراسة تاريخية - فنية مرخّلة
مخطوطات مرينية وسعيدية



مطبوعات مؤسسة الأنصاري - فاس
جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى: 2013



ملاحظة: لوحات الكتاب من عمل وتصميم المؤلف

الكتاب: الخط المغربي بين التجريد والتجسيد. دراسة تاريخية فنية
من خلال مخطوطات مرينية وسعدية

المؤلف: محمد عبد الحفيظ خبطة الحسني

الناشر: محمد عبد الحفيظ خبطة الحسني

الغلاف: من تصميم المؤلف

الخطوط: عبد الرحيم كولين

الحقوق: جميع الحقوق محفوظة للمؤلف وورثته

الإيداع القانوني: 2013MO4033

ردمك: 978 - 9954 - 32 - 950 - 4

الطبع: طبع على نفقة المؤلف - مطبوعات أمينة الأنصاري. فاس

الهاتف: 0675803768 - 0671641126

البريد الإلكتروني: ka3kiiii@gmail.com

الطبعة الأولى: 2013



مدخل

بادئ ذي بدء نشير إلى أن التقييد في استعمال التجسيد في الإسلام، وتحديد المجالات التي يجوز فيها استعمال هذا العنصر الفني، إنما كان يراد من ورائه الحيلولة دون تشبه المسلمين بالمسيحيين الذين ذهبوا إلى حد تجسيد معبودهم، فيما يسمى عندهم: "بالفن المقدس"¹، سيما وأن الله سبحانه وتعالى - من منظور العقيدة الإسلامية الصحيحة - منزه عن التجسيم والتجسيد والتشبيه والتمثيل، بنص الآية الكريمة: "لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ"²، لذلك وجدنا الفن الإسلامي المقدس، فنا "تجريديا" مُحَوَّراً ظهر على شكل أساليب تعبيرية؛ امتزج فيها الخط بالزخرفة والتركيب، إلى درجة دفعت معها بيكاسو (رائد المدرسة التكعيبية في الفن التشكيلي الأوربي) إلى حد القول: بأن أبعد نقطة حاول الوصول إليها في فنه التشكيلي، وجد الخط العربي - الإسلامي قد سبقه إليها منذ أمد بعيد³.

وتعتبر مسألة التجسيد في الفن الإسلامي من "القضايا الفقهية" التي حسم فيها أهل الحل والعقد، لكن هذه المسألة طفحت غير مأمرة على شكل "توازُل فقهية"، اقتضتها طبيعة الأغراض التي خُصص لها التجسيد والتصوير في مرحلة زمنية معينة، حيث عرف استعماله من عدمه جدلاً فقهياً كبيراً اقتضى في بعض الأحيان اللجوء إلى فتح باب "الاجتهاد" لتأصيل بعض الأحكام الفقهية حول هذه الظاهرة، وهنا لا بد أن نحدد ما إذا كان يُراد بالتجسيد كلاً من التصوير والتجسيم والتمثيل من حيث المفهوم العقدي، أو يُراد به فقط التصوير دون التجسيم والتمثيل، لأن التصوير وكما هو معلوم، يرتبط في غالب الأحيان بوظائف معينة قد تفيد "التوثيق"، أو "التوضيح"، وربما "التشريح"؛ كما نلاحظه على سبيل المثال في بعض المخطوطات العلمية والطبية والأدبية وغيرها.. وفي هذا الشأن يشير بعض الباحثين إلى أن أصل تحريم صور ذوات الروح يستثنى منه: "ما تدعو إليه الضرورة، أو تقتضيه المصلحة العامة المعتمدة، وذلك مثل ما يحتاج إليه من الصور في المجال الأمني أو الحربي، أو الإداري، أو التعليمي، أو الإعلامي، أو الطبي، أو غير ذلك من المجالات الخاصة منها، والعامة، وسواء كانت الصور المذكورة من ذوات الظل، أو من غيرها، يدوية أو آلية، ثابتة أو متحركة،

¹ - انظر تفصيل ذلك عند: السائح (الحسن)، دفاعاً عن الفنون الإسلامية، منشورات عكاظ، ماي: 2002م، ص: 18-19.

² - سورة الشورى. الآية: 11

³ - الرفاعي (بلال عبد الوهاب)، الخط العربي تاريخه وحاضره، دار ابن كثير، دمشق، 1989م، ص: 10.

لأن الضرورات تبيح المحظورات، ولكن ذلك مقيد بما تندفع به الضرورة، أو تحقق به المصلحة فقط"⁴.

ورغم كوننا لسنا مطالبين في هذا المضممار باستعراض تلك التحديدات المفاهيمية المرتبطة بدلالة المصطلح، أو المساجلات الفقهية المتعلقة بطبيعة الأحكام الفقهية، إلا أننا في الوقت نفسه نجد أنفسنا ملزمين - على الأقل - بالإشارة إلى جملة من تلك الأحكام التي تضمن بعضها تحريم تصوير ذوات الأرواح جملة وتفصيلاً، بينما تضمن بعضها الآخر تقييد استعماله في حدود ضيقة تتماشى مع "فقه المقاصد" في الشرع، ونستدل في هذا الشأن باستعمال التجسيد والتصوير على وجه الخصوص في المخطوطات العلمية التي كان يُرجى من وراء بعضها "جلب المصالح"، شريطة عدم تعارضها مع أولوية "درء المفساد"، وإلا، فإن (درء المفساد مقدم على جلب المصالح) بمقتضى "القاعدة الشرعية الأصولية".

وكيفما كان الحال، فإن ظاهرتي: التجريد و التجسيد اللتين ذكرناهما في عنوان هذا الكتاب، ظلتا مرتبطتين - في الخطوط بشكل عام - بالخط الشرقي تحديداً، إذ أن الخط المغربي كان في تصور المشاركة إلى عهد قريب مجرد خط يغلب عليه طابع الارتجال، وهو - كخط - أبعد من أن يستوعب مثل هذه المعاني الدقيقة المتعلقة بطبيعة التعبير الفني، والأداء الجمالي الذي تميزت به الخطوط الشرقية، فضلاً عن ذلك، نجد المشاركة يعتبرون الخط المغربي كصنف؛ ينضوي تحت مسمى: "الخط العربي"، شأنه في ذلك شأن الأصناف الأخرى. ونحن وإن كنا نتفق معهم في هذا الأمر من حيث الحقيقة التاريخية الواضحة الصابغة، التي تحيلنا على الجذور الأولى للخط المغربي المرتبط - تاريخياً - بمرحلة الفتح الإسلامي، حيث حمل الفاتحون معهم الحرف العربي إلى بلاد المغرب. إلا أننا لا نتفق معهم في ذلك من حيث التصنيف الفني، الذي يفرغ الخط المغربي من محتواه التراثي، ويجزّده من خصوصياته الإقليمية، وعوانده الحضارية، التي ارتبطت بالغرب الإسلامي (أو المغرب) خلال الفترة الوسيطة، ولا شك أن هذا القصور المفاهيمي في التعاطي مع الخط المغربي، نلاحظه بشكل بارز - على سبيل المثال - من خلال المسابقات الدولية التي يجريها: "مركز الأبحاث في التاريخ والفنون والثقافة الإسلامية" باستانبول (IRCICA)⁵. وكما يلاحظ من خلال الكاتالوجات المنشورة لهذه المنظمة؛ فإنها تدرج "الخط المغربي" بهذا المسمى كصنف من

⁴ - واصل (محمد بن أحمد)، أحكام التصوير في الفقه الإسلامي، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في الفقه الإسلامي، كلية الشريعة بالرياض، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، السنة الجامعية: 1417هـ/1996م، ص: 481 - 482.

⁵ - "مركز الأبحاث في التاريخ والفنون والثقافة الإسلامية" باستانبول (IRCICA)، مركز تابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي، يهتم بتراث الدول الإسلامية، كما أنه أعلن عن أول مسابقة عالمية في الخط العربي اعتباراً من سنة: 1986م، والتي كانت باسم آخر خطاطي الدولة العثمانية؛ موسى عزمي الملقب بـ: "حامد أيقاش الأمدي" (1891 - 1982م)، وذلك في إطار اهتمامه بالفنون الإسلامية إلى جانب التاريخ والثقافة الإسلامية.

ضمن الأصناف التي يتبارى حولها الخطاطون، وليس "كوحدة" تتفرع عنها مجموعة من الأصناف والخطوط المغربية كل واحد باسمه.. هذا وإن كنا لا نغمرها حقها، إذ أنها كمنظمة إسلامية عالمية، تبقى مشكورة - في كل الأحوال - على مبادراتها التاريخية، بالنظر إلى إدراجها للخط المغربي في نظام المسابقة التي تجريها كل ثلاث سنوات، رغم ندرة الدراسات والأبحاث التي تعرّف به.

وحتى نكون موضوعيين، نشير إلى أننا وإن كنا نلقي باللائمة على المشاركة لأنهم لم يهتموا بالخط المغربي، أو بالأحرى لم تكن لهم ولو أدنى فكرة بسيطة عنه، فإنه يجدر بنا - في الآن نفسه - أن نحمل المسؤولية أيضا للمغاربة الذين لم يُخْرِجُوا أعمالهم لتتجاوز قطرهم القصي، أو نحمل المسؤولية - مجازا - للعامل الجغرافي الذي يتجلى في بعد الدار وشقة المزار، الشيء الذي ساهم في غياب - أو بالأحرى - انقطاع أخبار المغرب عن عدد من المؤرخين المشاركة، مما أفضى إلى تكون تصور خاطئ لديهم حول قيمة الخط المغربي وأنواعه، ويبقى أهم عامل - حسب اعتقادي - فيما يخص "دور الظل" الذي عرفه الخط المغربي، هو العامل السياسي من منظور تاريخي، والذي ساهم أكثر من غيره في عزله في الشق الغربي للعالم الإسلامي دون شرقه، ولا أدل على ذلك؛ تسميته: "بالخط المغربي"، في حين أن "الخط المشرقي"، لايعرّف ولايعرّف بهذا الاسم، إلا عند مقارنته بنظيره المغربي من قبل المغاربة أنفسهم؛ الذين يطلقون عليه ذلك الاسم لتمييزه عن خطهم، أما المشاركة فيعتبرون خطهم وحدة تتكون من مجموعة خطوط اصطّلحوا على تسميتها: "بالخط العربي"، وهو الخط الذي تفرع إلى عدة أصناف؛ لماما ما كان يدرج الخط المغربي كإحدى مكوناتها.

والحق يقال: إن الخط المغربي يعتبر "وحدة" قائمة بذاتها، تنضوي تحته عدة خطوط تمثله تماما كما هو الشأن بالنسبة للخط المشرقي، إلا أن العامل السياسي المذكور، حال بيننا وبين إدراك هذه الحقيقة الصحيحة والصريحة بشواهد المادية والتاريخية، خاصة إذا علمنا أن المغرب، ظل في معظم فتراته الوسيطية والحديثة مستقلا عن التبعية السياسية للمشرق الإسلامي، بسبب ظهور مجموعة من الدول والإمبراطوريات على مسرح أحداثه، شكلت غالبا إحدى أقطاب العالم الإسلامي.

ومنه يمكن القول: إن الخط المغربي لم يجد طريقه للانتشار في مختلف الأصقاع، كما تم لنظيره المشرقي، حيث ظل منحسرا ومنحصرا في قطره، سيما وأن المغرب لم يكن مفتحا غربا إلا على المحيط الأطلسي، وشمالا: على العالم المسيحي المتمسك بنصرانيته ولغته

اللاتينية، وجنوباً على أهل السودان⁶، وهم قوم كان معظمهم أبعد ما يكون عن أصول الحضارة (بتحفظ)، فضلاً عن أن يدركوا القيمة الفنية للخط المغربي ليطوروه، أو على الأقل ليساهموا فيه بتجربتهم الإقليمية القومية، أما الخط المشرقي فقد كان منفثاً شرقاً على الحضارة الفارسية وما والاها، تلك التي ساهمت في تطويره وإثرائه، بل وأنتجت خطاً مستقلاً نسب إليها، وحمل اسمها، ألا وهو: "الخط الفارسي" الذي يتكون من عدة أصناف فرعية: كخط التعليق والنستعليق والشكسته (أو الخط المكسر) والفيرومز وغيرها.. حيث سيتطور هذا الخط ليفرض نفسه كخط قائم بذاته، اكتسب ثلوثات أخرى، زادت رونقا وجمالا، سيما بعد تحرره من إقليمية، ليتفرع عنه أسلوب آخر في مراحل لاحقة، سمي بـ: "التعليق العثماني".

بالإضافة إلى ذلك، انفتح الخط المشرقي شمالاً على الأتراك الذين استوطنوا آسيا الصغرى (تركيا)، فطوروه أيضاً وأضفوا عليه طابع تجربتهم الفنية، خاصة بعد تأسيسهم لإحدى أعظم الإمبراطوريات في التاريخ الإسلامي، ألا وهي: الإمبراطورية العثمانية التي أعطته حافزاً قوياً، وما نشاهده اليوم من جمالية الخط العربي (المشرقي) المتناهية، يرجع الفضل فيه إلى سلاطين العثمانيين الذين أولوا الخطاطين والخط اهتماماً منقطع النظير، حيث اتخذوا صفوة من الخطاطين في دواوينهم، وأغدقوا عليهم بالعطايا ووسموهم بالنياشين، وكفي من دورهم في تطور الخط العربي (المشرقي) أنهم أعلنوا عن ولادة خط جديد على الطراز التركي - العثماني، ألا وهو: "الخط الديواني" الذي يفترض أنه قد انبثق من خط "التعليق" الفارسي القديم، ليتفرع منه بعد ذلك خطان هما: الخط الديواني الخفي (الدقيق)، و الخط الديواني الجلي (الخشن)⁷، فضلاً عن خط الرقعة وقريبه خط السياقت أو (خط السياقة)⁸، وقد

⁶ - نقصد بالسودان، إفريقيا جنوب الصحراء، وليس السودان الحالي (في جنوب مصر) الذي كان يسمى: "بلاد النوبة".
⁷ - لا تستعمل تسمية: "الديواني الدقيق" أو "الخفي"، إلا عند مقارنته بـ "الديواني الجلي" أو "الخشن"، بغية تمييزه عنه، وإلا فإن تسمية: "ديواني"، دون إضافة تعريفية، كافية لتمييزه عن غيره بما في ذلك جليته، وهذا يدل بشكل ضمني على أن الدقيق هو الأصل، ومنه استخرج الجلي، الذي لم يعرف - حسب رأيي - إلا في المراحل المتأخرة للدولة العثمانية. ويذهب معظم الباحثين إلى أن الديواني الجلي أو الديواني الخشن كما يسميه البعض، استخرج من الديواني الدقيق، بينما ذهب البعض إلى أن العكس هو الصحيح، حيث وُضع الديواني الدقيق بعد الديواني الجلي بمدة تقل عن خمسين سنة، بعد أن كان العثمانيون قد هذبوا خطاً سموه: "خط المرسوم" أو "جلي الديواني"، اقتبسوه من الخط الذي أدخلت فيه الزخرفة الصينية في بلاد ما وراء النهر بعد الفتح الأموي.
انظر:

- حش (إدهام محمد)، الخط العربي في الوثائق العثمانية، دار المناهج، عمان، الأردن، الطبعة الأولى: 1998م، ص: 80
⁸ - بعد "خط السياقت" في الأصل: خطاً تركياً - سلجوقياً، ظهر حوالي سنة: 701هـ/1301م، وهو من الخطوط العثمانية التي لم تعد ذات أهمية تذكر على المستوى الفني والجمالي، وقد كان هذا الخط يُخصص للمكاتبات السرية المتعلقة بالشؤون المالية في الديوان العثماني، لذلك فقد كان صعب القراءة، لا يفك رموزه إلا المشتغلين بالإدارة المالية العثمانية، وبعض أهل الخط، إذ يمتاز باختصار حروفه وخلقه من الإحجام الشيء الذي رشح لدى بعض الدارسين الاعتقاد بأن تسميته أخذت من صعوبة قراءته التي تقتضي الأخذ بـ "سياق" المعنى؛ فسمي: "خط السياقة"، ولأن الأتراك لا يفتقرون على التاء المربوطة في آخر الكلمة بالهاء بسبب عجمتهم، سموها خط السياقة بـ: "سياقت" بالتاء المبسوطة؛ جربا على عاداتهم في نطق أسماء الأعلام التي يحقونها كما في الكلمات التالية: (حكمة = حكمت). "عرة = عبرت". "جودة = جودت". "رافة = رافت"...، وقس على هذا بقول محمود يازر وهو أشهر المشتغلين على هذا الخط: "إن رسوم حروفه أشبه ما تكون بالخط الديواني، مزيجاً بخط الرقعة وبخط الكوفي، وهو على نوعين: منقوط وغير منقوط".
لمزيد من التفصيل؛ راجع:

- حش، الخط العربي في الوثائق العثمانية، ص: 85.

فرض العثمانيون استعمال هذين الخطين في سائر دواوين الولايات والإيالات العثمانية، ما عدا المغرب الذي كان يعرف استقلالاً سياسياً بواسطة الدولة السعدية القوية. هذا فضلاً عن إحداثهم لأنماط وأشكال متناهية الجمال، تم من خلالها تطويع الحرف العربي وتقديره في أبهى حله، كالطغراء، والأنساق التركيبية المختلفة ذات الأشكال الدائرية والبيضوية والكمثرية في خط الثلث.. والأشكال السفينية والزورقية والثعبانية وغيرها في الخط الديواني وجلّته.. حيث يمكن اعتبار هذه التركيبات والأنماط، أرقى ما وصل إليه فن الجمال الإبداعي بالخطوط المرقومة، والأشكال المرسومة، إذ أنها تمثل فن "التجريد" أو (التحوير) - حسب مُسمّاه في الفنون الإسلامية - بعناصرها الباليوغرافية المتحررة عن التجسيد، كما تمثل حركة الكون المضطردة؛ من خلال ملئ فضاءاتها بضروب من الحركات الإعرابية (الشكل)، الموزعة بشكل متنسق ومتناسق، وفق نمط متزن ومدرّس، يُرجى من ورائه شغل الفراغ الذي كان يتلافاه الفنان المسلم دائماً ويتحاشاه.. وقد استطاع الخطاط المبدع، خلق تحرر واستقلالية كبيرين في الأشكال والمسافات، بحيث أصبحت الكتابة ملغزة ومستعصية في القراءة، إلا على ذوي الاختصاص، الذين يستطيعون تتبع نصوص هذه التراكيب المعلقة بين عالمين: عالم الوقائع التجسدية من خلال بعض صورها ومقاطعها، وعالم التمثيلات التجريدية من خلال المسارات الهندسية لتفاصيلها الفنية المبتكرة، ففي هذه الأنماط التركيبية يهدف الخطاط إلى استكناه الجمال المتناقض بين الغموض والوضوح، وامتياح التعبير المتذبذب بين التلميح والتصريح.

ونحن إذ نقارن الخط المشرقي بالخط المغربي، لا ننظر إلى هذا الأخير من المنظور الذي نظر به المشاركة إليه، بل ننظر إليه من زاوية التاريخ الإسلامي العام لتحديد موقعه، على اعتبار أن هنالك مشكل مفاهيمي آخر حول ماهية التاريخ الإسلامي ومفهومه، إذ يتبادر للذهن لأول وهلة عند ذكر: "التاريخ الإسلامي"، أنه هو تاريخ الدولة الأموية أو الدولة العباسية، أو الدولة العثمانية، أو... أو... أي تلك الدول التي أسّس صرحها في القسم الشرقي للعالم الإسلامي، وكأنها شكلت بتشكيلها التاريخ الإسلامي العام بمفهومه الشمولي.

أما التاريخ الإسلامي في القسم الغربي للعالم الإسلامي، فلم يرد ذكره إلا عرضاً، وإن كانت تسميته بـ: "تاريخ الغرب الإسلامي"، من باب التخصيص والتمييز، فهي لا تخلو في الآن نفسه من مفهومي: التقريم والتحجيم، إذ أننا لا نجد بالمقابل عند معظم الدارسين تسمية: "تاريخ المشرق الإسلامي" للدلالة على الوقائع التاريخية أو الدول التي عرفها المشرق، إلا في حال المقارنة بينه وبين تاريخ الغرب الإسلامي. وهذا له معطى تاريخي-جغرافي، يتجلى في ظهور

الإسلام في الشق الشرقي للعالم الإسلامي، ثم انتشاره منه نحو المغرب في مراحل لاحقة، فصارت إنجازات هذا الأخير - المغرب - كما لو أنها قيمة مضافة لما تحقق في المشرق.

والحق يقال: إن التاريخ الإسلامي بالمغرب كان يشكل هو الآخر وحدة قائمة بذاتها لها تجربتها واجتهاداتها الخاصة، مقابل التجربة المشرقية في هذا الميدان، خاصة إذا استعرضنا القطيعة شبه النهائية التي كانت بين الشقين: المغربي والمشرقي في بعض الفترات التاريخية، كما حدث بين الموحدين والعباسيين، ثم السعديين والعثمانيين - إلى حد ما - على سبيل المثال لا الحصر، حيث كانت الدول المشرقية ترى بأن الدول المغربية التي تبنت شعار الخلافة، هي دول خارجية شقت عصا الطاعة، بعد أن امتنعت عن تقديم فروض الطاعة والإذعان للخلافة الإسلامية الأم بالمشرق، الشيء الذي جعل هذه الأخيرة ترفض قبول أية تجربة مغربية في هذا الميدان، أو على الأقل التنقيص من شأنها، والحيلولة دون تخليدها في التاريخ الإسلامي العام، ولعل ما يؤكد هذا الاتجاه، هو محاولة الخلافة المشرقية مرارا وتكرارا إجهاض كل تجربة مغربية تسعى لإنشاء كيان سياسي قوي مستقل عن أية تبعية؛ إسمية كانت أو رسمية، ولا أدل على ذلك من قيام العباسيين في سنة: 177هـ/793م، باغتيال إدريس بن عبد الله الحسني المستقل ببلاد المغرب. وعلى نفس المنوال، قيام العثمانيين بعدهم بثمانية قرون باغتيال السلطان السعدي؛ محمد الشيخ المهدي (947 - 964هـ/1540 - 1557م)، الذي قُطع رأسه وحُمل إلى استانبول سنة: 964هـ/1556م، بعد رفضه التبعية لسليمان القانوني (926 - 974هـ/1520 - 1566م) الذي نجح في ضم سائر الولايات الإسلامية ما عدا المغرب، ولعل هذا الأمر كان من أبرز الأسباب التي خلقت صراعا خفيا وصل إلى درجة التصادم في بعض الأحيان بين الدولتين على جميع المستويات: السياسية والعسكرية وحتى الفنية؛ كما يظهر ذلك من خلال الوثائق السعدية والعثمانية، التي تزخر بمجموعة من الرموز التي نحيلنا على ذلك الصراع، وخاصة الوثائق الممهورة بالعلامات السلطانية أو ما يسمى بالطغراء⁹.

ولا شك أن الصراع الخفي بين المغرب والمشرق، قد غطى معظم فترات التاريخ الوسيط قبل الوصول إلى العصر السعدي، كما أنه طُفح على الواجهة في شتى الميادين، بما في ذلك الميدانين: العلمي والفني، ونستدل في هذا الأمر - من باب التَّنَدُّر - بما وقع لأحد فقهاء المالكية من المغاربة الذي كان في إحدى مجالس الدولة العباسية ببغداد، فأراد أن يستفزه بعض علمائها بقوله: "خُلِّقت الدنيا على خمس صور؛ على صورة الطير برأسه وصدره وجناحيه

⁹ - عن الطغراء العثمانية ونظيرتها المغربية؛ أنظر تفصيل ذلك في كتابنا: - خبطة (محمد عبد الحفيظ الحسني)، "الطغراء والأختام السلطانية وعلاقتها بإشكالية السيادة بين المغرب السعدي وتركيا العثمانية. دراسة تاريخية - فنية، وتشریح علمی - تعليمی"، مطبوعات أمينة الأنصاري، فاس، الطبعة الأولى: 2013م، صص: 3 - 432.

وذئبه، فالرأس: مكة والمدينة واليمن، والصدر: الشام ومصر، والجناح الأيمن: العراق، والجناح الأيسر: السند والهند، والذئب من ذات الحمام إلى مغرب الشمس، وشر ما في الطير الذئب"، فما كان من الفقيه المالكي إلا أن رد عليه بذكاء: "ولكن الطير طاووس"، يريد بذلك أن أجمل ما في الطاووس هو ذئبه¹⁰.

من خلال ما سبق، نشير إلى أن ما ذكرناه هو مشكلة الخط المغربي الذي لم يعرف طريقه إلى العالمية بسبب العوامل المذكورة آنفاً. وبناء عليه، نطرح التساؤلات التالية:

- هل حاول قدماء المغاربة، وخاصة مؤرخوهم تقريب الصورة التاريخية التي كان عليها الخط المغربي، وكيفية تطوره من دولة إلى دولة، أو من حقبة إلى حقبة؟
- وهل كان الخط المغربي، أصلاً خطأ قائماً بذاته، شكّله أنامل الخطاطين المغاربة، انطلاقاً من تجربة فنية محلية؟ أم كان مجرد امتداد للخط الكوفي، وذلك بتحوير حروف هذا الأخير من حروف حادة وجافة - وهي سمة الخط الكوفي - إلى حروف ليّنة تتميز بانسياباتها وامتداداتها الرشيقّة؟

- ثم هل يوجد هنالك خط مغربي موحد أصلاً؟ أم أن الأمر يتعلق بوجود مجموعة من الأصناف التي ترجع إلى تعدد الأقلام المستعملة من قبل الخطاطين المغاربة، تماماً كما كان الأمر بالنسبة للخط المشرقي الذي عرف تنوعاً كبيراً قبل ظهور الخط المنسوب على يد ابن مقلة؟
- هل كان لكل صنف من أصناف الخط المغربي قواعده وضوابطه التي تحكمه فيما يتعلق برسم صور الحروف؟ أم أن الأمر كان يتعلق فقط بارتجالية الخطاط في الكتابة، ومحاولة إبداع أروع تقاسيم الجمال من خلال ما توصلت إليه قريحته وسجيته الفنيّتين؟

بعد ذلك نتساءل قائلين: ما هي أسماء الخطوط المغربية؟ وما مدى صحة تلك الأسماء وقربها من الحقيقة التاريخية، سيما إذا علمنا أنه لم يتم الإجماع عليها من قبل المتخصصين؟! ويبقى أهم تساؤل في هذا السياق هو: هل كانت هنالك صناعة للخط بالمغرب - كما كان الشأن بالشرق - من حيث كونها صناعة قائمة بذاتها؟ أم كانت مجرد ضرورة فرضتها عملية تدوين العلوم والأخبار، وبأهمية أكبر: المصاحف القرآنية؟

- وإن كانت هنالك صناعة للخط بالمغرب، فما هي التقنيات التي اعتمدها الخطاطون المغاربة في تلك الصناعة؟ وهل كانت لهم أورايش خاصة في لمنن التي كانوا يقطنون بها؟ وبموازاة مع هذا التساؤل، نطرح تساؤلاً آخر نصه ما يلي:

¹⁰ - النيسبي (أبو عبد الله محمد بن أحمد)، أسس الساري والساري في أقطار المعارب إلى منتهى الأمان والمأرب، سيد الأعاجم والأعارب، تحقيق: محمد القاسمي، سلسلة الرحلات - 5 - مطبعة محمد الخامس، فاس، 1970م، ص 44

- هل كانت في المدن المغربية مدارس خاصة بتحسين الخطوط وتكوين الخطاطين؟ وما هو دور الدولة المغربية في هذا الشأن؟ وهل كان لها دور فعلي؟ بالنظر إلى دورها الهام الذي كان يتعلق بإنشاء الخزانات، وجلب أكبر عدد من المخطوطات إليها، والبحث على استنساخها، بل والمساهمة في تلك العملية؟

- ثم هل ترجع الصبغة الجمالية التي اكتسبها الخط المغربي إلى عصامية الخطاط المغربي؟ أم أن ذلك راجع إلى روح الخط المغربي ذاته؟

وفي الأخير نتساءل قائلين: لماذا لم يتطور الخط المغربي بنفس النسق الذي تطور به الخط المشرقي فيما يتعلق بمجموعة من الخصائص البنائية والجمالية، كقانوني: الإعجام والإهمال بالنسبة لرسم الحروف، والشكل والحركات، وتركيب الحروف والوصل والفصل بينها، وغير ذلك من لواحق الخط؟ هل يرجع ذلك إلى تمسك الخطاط المغربي بأصالة الحرف العربي وبساطته؟ أم أنه راجع إلى ضعف قدرته على الخلق والإبداع؟

لكن التساؤل الذي يمكن اعتباره بيت القصيد ومربط الفرس في دراستنا هذه، هو: إلى أي حد تأثر الخط المغربي بظاهرتي: التجريد والتجسيد؟ هذا إن سلّمنا جدلاً بنزوع بعض الخطاطين إلى "التجسيد" باعتباره ظاهرة فرعية أو دخيلة على الخطوط، تتقاطع مع "التجريد" وفق سق يجمع بين "التعبير الفني" (اللوحة الجمالية)، و"الأداء الوظيفي" (السح والندين)، حيث أن الحروف تُمتَح من الصور التجسدية، كما تنتج بعض الأشكال التجريدية، وذلك بحسب ما تقتضيه الضرورات الفنية، وحيما نتحدث عن هذا الامتياح والانتياح، فإننا نتحدث عنه في بعض الجزئيات التي تتعلق برسم صور الحروف التي تستوعب وجود التجسيد في بعض مقاطعها وأجزائها، رغم أن بنيتها الأساسية محكومة بظاهرة التجريد، وهذا يلاحظ مثلاً في بعض المسميات التي أوردتها المصادر العربية، حيث نعتت بعض الحروف بمسميات تفصيلية وربما تفضيلية، تتعلق بأجزاء من صورها في إطار حمل العام على الخاص، وتعريف الكل بالجزء، "كأذن الفرس" و"عين الهر" و"فك الأسد" وما إلى ذلك... وكلها تسميات أو مسميات تدلنا على استلهاهم بعض الأشكال المادية، واختزلها ثم تحويلها لتتلاءم وتتماهى مع النسق التجريدي للحروف العربية، ولا شك أن هذه المسميات ظلت لصيقة بالخطوط المشرقية كما قلناه، لكننا وبحكم اعتمادنا على مجموعة من النماذج المخطوطة التي يرجع معظمها إلى العصريين: المريني والسعدي، وجدنا هذا الاستعمال حاضراً في الخط المغربي بشكل كبير، ولتأكيد ذلك، قمنا باستخراج تلك "الصور المعيارية"، وسلطنا الضوء على بعض مقاطعها التجسدية بصفاتها ومسمياتها المعلومة، معتمدين في ذلك على منهج جديد في التعاطي مع

تشريح صور الحروف، وإعادة تركيبها تركيباً ممنهجاً ومنظماً يقوم على أساس المقارنة والمقاربة والاستدلال، وبالتالي تحديد موطن كل شاهد، بل وسوق القرائن المادية التي تدعم وتعزز تلك التسميات التجسيدية، حيث وظفنا كل حرف له تسمية مادية معينة في الشكل الذي يتلاءم معه، لمعرفة صحة تلك التسميات من عدمها، وكذا معرفة إلى أي حد تتناسب مع الوصف الذي أطلق عليها من قبل المصادر.. فاستعملنا - مثلاً - حرف "عين الهر"، كعين حقيقية لهرٍّ قمنا برسم ملامح وجهه، و "أذن الفرس" وفق نفس المبدأ، وفك الأسد.. وهكذا.. وذلك حتى يسهل على المتلقي استيعاب وفهم، بل وتعليل تلك التسميات التي أوردتها المصادر.

وحتى تكون دراستنا دراسة شمولية حول المقاطع التجسيدية في صور الخط المغربي؛ أعتمدنا على المقاربة المنهجية من منطلق: "الماكرو"، و"الميكرو" في آن واحد، أي: أننا قمنا باستخراج ومراكمة، كل الحروف والصور التي تتلاءم وتتناسب مع المعطى المتعلق باستعمال ظاهرة التجسيد في رسم بعض ثنائيا وأجزاء الحروف في الخط المغربي، وذلك بصرف النظر عن الصنف الذي تنضوي تحت مسماه (مبسوط أو مجوهر أو ثلث مغربي.. أو.. أو..). ومن ثمّ القيام بتشريح كل حرف على حدة تشريحا دقيقا وداليا، بمكننا من الخروج ببعض الاستنتاجات الفنية، المتعلقة بطبيعة شكل الحرف وتسميته، وتصنيف الخط الذي ينتمي إليه.

وبعد تسليط الضوء على ظاهرة التجسيد في صور الحروف، قمنا كذلك بتسليط الضوء على استعمالها من عدمه في "الأنماط التركيبية" أو ما يسمى "بفن التركيب" الذي ارتبط كما جرت به العادة بخط الثلث بصنفيه: المشرقي والمغربي، وحتى تستجيب هذه الدراسة للمنهج الشمولي الذي ارتضيناه، حاولنا دائما استحضار وجه المقارنة بين الخط المغربي ونظيره المشرقي لأن الشيء بالشيء يذكر، والشيء لا يعرف إلا من خلال نقيضه، وذلك حتى نستطيع في النهاية؛ الخروج ببعض الأحكام القيمة والمعارية.

إضافة إلى ما قلناه، نشير إلى أن معظم الدراسات التي اهتمت بدراسة الخط بشكل عام، كانت تهتمش - أو على الأقل - تُحجّم بل وربما تُحجّم عن ذكر "القلم" بوصفه أداة الخط وبرجله، حيث لم توليه ما يستحقه من اهتمام، ماعدا إذا استثنينا بعض الإشارات المقصبة التي ينقلها الباحثون بالتواتر عن بعضهم البعض، وعادة ما كانت تلك الإشارات "المتواترة" تنحصر في المعاني المرتبطة بصناعة القلم من فتح ونحت وشق وقط، وهي معان تتعلق فقط ببعض تقنيات صناعة القلم - على قصورها - دون أن تَعْلل أو تحدد كيفية ارتباط القلم بأنصاف الخطوط التي استعمل لكتابتها، أو الاستدلال بما يعزز ذلك من شواهد مصدرية ودعامات تقنية ومهارية. ونحن إذ نقول ذلك، نشير إلى أن القلم كان ولا يزال هو المحدد الأساسي والرئيس لأنصاف

الخطوط وهندستها، وهو أمر يُزمننا - لا محالة - بدراسة القلم المغربي ومقارنته بالقلم الشرقي، وذكرنا للقلم الشرقي - في هذا المقام - إنما هو من باب المقارنة، لتأصيل الاختلاف بينه وبين القلم المغربي في شكله ورسمه ووظيفته، وبالتالي محاولة تحديد جذور تلك الاختلافات تاريخيا وكونولوجيا، من خلال ما أسعفتنا به بعض الإشارات المصدرية المنتشرة هنا وهناك.

وحتى نبرر استنادنا على القلم في تفسير هندسة الخط، نشير إلى أن القلم والخط كانا - ولا يزالان - متلازمين تلازما دلاليا ووظيفيا، بدليل أن الخط العربي ارتبطت تسمية أصنافه في بداياته الأولى "بالأقلام" عوض "الخطوط"، حيث كانت تستعمل كلمة: "قلم" للدلالة على "نوع" من الخطوط تبعا لشكله أو حجمه، منذ صدر الدولة الأموية، وتحديدًا في عهد الوليد بن عبد الملك بن مروان الأموي (86 - 96هـ/705 - 715م)¹¹، وهو ما أطلق عليه الخطاط الأموي الشهير: "قطبة المحرر"، تسمية: "الأقلام الموزونة"¹²، وقد تحدث ابن النديم عن تطور هذه الأقلام إلى حدود سنة: 438هـ/1046م¹³. حيث أشار إلى أنها كانت تنفرع - في البداية - إلى أربعة أقلام "اشتق بعضها من بعض"¹⁴؛ وهي: "قلم الجليل وقلم الطومار.. وقلم النصف.. وقلم الثلث"¹⁵، و"مخرج هذه الأربعة الأقلام [كلها] من القلم الجليل وهو أبو الأقلام"¹⁶. ويضيف ابن النديم أن "قلم الجليل [كان] يدق صلب الكاتب، يكتب به عن الخلفاء إلى ملوك الأرض في الطوامير [جمع طومار وهي الصحف]"¹⁷.

وبنتبعنا للإشارات الواردة في المصادر التاريخية، نجد أن كلمة: "خط" لم تُستخدم إلا في العصر العباسي، وذلك من خلال بعض الأصناف والأنواع التي ابتكرها صاحب رسالة:

¹¹ - ابن النديم (محمد بن إسحاق البغدادي)، الفهرست، تحقيق: إبراهيم رمضان، دار المعرفة، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية: 1997م، ص: 18

¹² - سميت "الأقلام الموزونة" بهذا الاسم، لأنها كانت توزن بعدد الشعرات التي تقاس بها قطة القلم، وكان أضخمها على الإطلاق "قلم الطومار"، وهو أجل الأقلام، ولذلك سمي أيضا بـ "القلم الجليل"، ويذكر ابن النديم أن هذا القلم كان "لا يقوى عليه أحد إلا بالتعليم الشديد"

وقد كان حجم قطة الطومار يبلغ 24 شعرة، فكانت تسميات الأقلام الأخرى ترتبط ببسطة وربها من وزن قلم الطومار كقلم النصف (12 شعرة) وقلم الثلث (8 شعرات) وهكذا. وفي هذا المعنى يقول الطقشدي كل "الأقلام منسوبة من بسطة قلم الطومار في المساحة، وذلك أن قلم الطومار الذي هو أجل الأقلام مساحة، عرضه أربع وعشرون شعرة من شعر البرون.. وقلم الثلث منه بمقدار ثلثه وهو ثمان شعرات، وقلم النصف بمقدار نصفه وهو اثنتا عشرة شعرة، وقلم الثلثين بمقدار ثلثيه وهو ثمان عشرة شعرة".

- بن النديم، الفهرست، ص: 18.

- الفلقشدي (أحمد بن علي)، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، تحقيق: يوسف علي طويل، نشر دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى 1987م، ج/3، ص: 53.

¹³ - ابن النديم، الفهرست، ص: 19

¹⁴ - نفس المصدر، ص: 18

¹⁵ - نفس المصدر، ص: 19.

¹⁶ - نفس المصدر، ص: 19

¹⁷ - نفس المصدر، ص: 18

"تحفة الواثق"¹⁸؛ إسحاق بن إبراهيم البربري (أو اليزيدي) الملقب بـ: **"الأحول المحرر"**¹⁹، الذي استعملها بدلاً عن كلمة: **"قلم"** التي كانت سائدة للدلالة على تسميات لقياسات مختلفة من الأقلام تقاس بشعر **"البرنون"** وهو نوع من الخيول الأعجمية²⁰، حيث كان كل قياس يتناسب مع أحجام الأوراق المستعملة للكتابة، كما يتلاءم مع طبيعة الاستخدام الإداري وكذا طبيعة النصوص الإدارية المخصص لكتابتها، ومعلوم أن الأحول هذا هو تلميذ إبراهيم الشجري (أو السجزي) الذي ظهر في بغداد سنة: 200هـ/815م²¹. والذي انتهت إليه مدرسة كل من **"الضحك بن عجلان الشامي"** (أول خطاط في الدولة العباسية)، و **"إسحاق ابن حماد"**²² الذي استخرج من الخط الموزون 12 قلماً يتراوح من أدق الأقلام؛ وهو الغناري أو غبار الحلية، إلى أجلها؛ وهو الطومار أو ما كان يسمى بالجليل الشامي، وكيفما كان الحال فقد أكمل هذان الخطاطان العباسيان ما بدأه قطبة المحرر في صدر الدولة الأموية.

وبالرجوع إلى الأحول المحرر، نشير إلى أنه هو أستاذ الخطاط والوزير العباسي الشهير ابن مقلة (272 - 328هـ/886 - 939م) الذي وضع لنا **"الخط المنسوب"** وهندسته

¹⁸ تعتبر رسالة: **"تحفة الواثق"**، أقدم رسالة في علم الخط والقلم على الإطلاق، لكن لحد الآن لم يُعثر على نسخة من نسخها المخطوطة، ولم يصلح حبرها إلا من خلال بعض المصنفات التاريخية، على رأسها كتاب الفهرست لابن النديم. وقد كان صاحبها **"الأحول المحرر"** يعلم الخلية العباسي المقدّر بالله (295 - 320هـ/908 - 932م) وأولاده انظر الفهرست، ص 20

¹⁹ ابن النقلة الأهم بين نقلة قطبة المحرر ونقطة ابن مقلة فيما يتعلق بـ: **"الخط الموزون"**، هي التي نُشئت على يد الأحول المحرر، أستاذ ابن مقلة وتلميذ إبراهيم السجزي أو الشجري الذي اشتهر في القرن الثاني الهجري، حيث قام بترتيب الأقلام النقال بدءاً من الطومار، ثم التثني، والسجلات، فالعهد والمؤامرات ثم الأمانات والديباح، فالمنهج والمرصع، ثم قلم المنبج ويسبب إليه احتراع حبيب المصب وحبيب الثلث، والمسسل، وغبار الحلية، وخط المؤامرات، وخط القصص والرواقي وقد استخدمت المصادر التاريخية - وأبرزها الفهرست لابن النديم - كلمة **"خط"** بدءاً من بعض الأنواع التي ابتكرها الأحول بدلاً من كلمة **"قلم"** التي كانت سائدة للدلالة على تسميات لقياسات مختلفة من الأقلام تتناسب استخداماتها وقطوع الورق. وتتنسب إلى قلم الطومار.

يقول ابن النديم: **".. ظهر رجل يعرف بالأحول المحرر .. عارف بمعاني الخط وأشكاله فتكلم على رسومه وقوانينه وجعله أنواعاً"** الفهرست، ص 19 - 20. ويقول ياقوت الحموي: **"وكان أول من تكلم على رسوم الخط وقوانينه وجعله أنواعاً رجل يعرف بالأحول المحرر"** وياقوت الحموي (شهاب الدين أبو عبد الله بن عبد الله الرومي)، معجم الأنبياء = إرشاد الأرباب إلى معرفة لأديب، تحقيق إحسان عباس، دار العرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى: 1993م، ج2، ص: 617.

²⁰ - **"يطلق على غير العربي من الخيل والبغال، من الفصيلة الخيلية، عظيم الخلق، غليظ الأعضاء، قوي الأرجل، عظيم الحوافر"**. - انظر ابن منظور (أبو الفضل محمد بن مكرم)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة 1993م، ج13، ص 51. وقد كان شعر البرنون رقيقاً بالندر الذي جعل منه **"وحدة"** للقياسات الدقيقة وزناً ومساواة، حيث استخدم قديماً في وزن المعاس الفيمية، وعلى رأسها الذهب كنديل عن **"أغرام"**، كما استخدم في قياس **"المسافات الدقيقة"**، ومن صممها قطبات الأقلام كنديل عن **"الميليمتر"**.

²¹ - بهسي (عفيف)، معجم مصطلحات الخط العربي والمخططين، مكتبة لبنان ناشرون، طبعة: 1995م، ص 4 - 5 - 79.

²² - داعت شهرة الخطاط (الضحك بن عجلان) في خلافة أبي العباس السفاح (132 - 136هـ/749 - 754م)، والخطاط (إسحاق بن حماد) في خلافة أبي جعفر المصنوع (136 - 158هـ/754 - 775م) والمهدي (158 - 169هـ/775 - 785م) حتى بلغ الخط في عهدهم إلى عشر بوعاً

- يقول ابن النديم: **"أول من كتب في أيام بني أمية: قطبة"**، وهو استخرج الأقلام الأربعة واشتق بعضها من بعض، وكان قطبة أكثر الناس على الأرض بالعربية، ثم كان بعده الضحك بن عجلان الكاتب في أول خلافة بني العباس، فزاد على قطبة، فكان بعده أكثر الخلق، ثم كن بعده إسحاق بن حماد الكاتب في خلافة المنصور والمهدي، فزاد على الضحك، ثم كان لإسحاق بن حماد عدة تلامذة منهم: يوسف الكاتب الملقب بلقوة المشاهر، ومكن أكتب الناس، ومنهم إبراهيم بن الحسن زاد علي يوسف، ومنهم شقير الخادم، وكان مملوك مؤيد القاسم بن المنصور، ومنهم ثناء الكاتبة؛ جارية بن فريما، ومنهم عبد الجبار الرومي، ومنهم الشعراني والأبرش، وسليم الخادم الكاتب، خادم جعفر بن يحيى، وعمر بن مسعدة، وأحمد بن أبي خالد، وأحمد الكلابي كاتب المأمون، وعبد الله بن شداد، وعثمان بن زياد العايل، ومحمد بن عبد الله الملقب بالمذني، وأبو الفضل صالح بن عبد الملك التميمي الفخراساني. هؤلاء كتبو الخطوط الأصلية الموزونة التي لا يقوى عليها أحد".

- ابن النديم، الفهرست، ص 18.

- انظر أيضاً: شوحان (أحمد)، رحلة الخط العربي من الممسد إلى الحديث، من منشورات اتحاد الكتاب العرب دمشق، 2001م، ص 30.

التي استندت على قانون التناسب بين "الخط" و"النقطة" و"الدائرة"²³. ليحل نهائيا محل "الخط الموزون"²⁴. وتُعوّض "الأقلام" بـ "الأصناف" أو "الخطوط"، حيث اختزلت "الأقلام المتعددة" في "سنة أصناف"، كل صنف منها انفرد بسماته الجمالية وبنيت الهندسية، وهي الأصناف التي اصطلح على تسميتها بـ: "الخطوط الستة": "الثلاث، والريحان، والتوقيع، والمحقق، والنسخ (البديع)"²⁵ والرقاع"²⁶.

وتجدر الإشارة إلى أنه في الوقت الذي حل "الخط المنسوب" محل "الخط الموزون" في المشرق، ظل المغرب وفيها للخطوط الموزونة وخاصة الكوفية منها، حيث لم يتأثر الخطاطون المغاربة بهذه "الطفرة الفنية" - إن صح التعبير - رغم إعجابهم بها، وبناء عليه، يمكن القول أن خصوصية الخط المغربي بدأت تطفح على مسرح الأحداث منذ أواخر العصر الوسيط، وبخاصة في العصر المريني الذي بدأ فيه الخط المغربي يأخذ شكله النهائي، حيث بدا متميزا عن باقي الخطوط المتداولة في الغرب الإسلامي، وبدأت تتضح أصنافه وأنواعه وأساليبه، سيما بعد تجاوز البعد الإقليمي في تسميات أصناف الخط التي كانت سائدة في الغرب الإسلامي اعتبارا من ذلك التاريخ، والاستعاضة عنها بتسميات لكل منها مدلول معين، حيث أصبح الخط يُنسب إلى سماته الفنية (مبسوط.. مجوهر.. زمامي..). عوض أن يسبب إلى صقع أو قطر (قيرواني.. أنلسي.. فاسي..)، ويرجع ذلك في اعتقادي إلى تفرّد المغرب الأقصى بمهمة تطوير الخط المغربي عموما، وذلك بالنظر إلى الاستقرار السياسي الذي كان يمتنع به. مقابل تنذب هذا الاستقرار في كل من المغريين: الأوسط (الجزائر) والأدنى (تونس) بسبب الفلاقل السياسية، التي طالت الأندلس أيضا بعد تفرق حكامها طرائق قندا، وتكالب العدو المسيحي عليهم تكالب الأكلة على قصعتها.

23 - استطاع الورير ابن مقلّة مؤسس المدرسة البعدية في بدايات القرن الرابع الهجري، أن يبدع: "الخط المنسوب" الذي حل نهائيا محل "الخط الموزون" في المشرق، وذلك بعدما قسمه إلى 6 أنواع هي "الثلاث، والريحان، والتوقيع، والمحقق، والبديع والرقاع"، وقد وضع لها مقاييس رياضية، معتمدا في ذلك على قانون التناسب بين "الخط" و"النقطة" و"الدائرة". فجعل "الخط" لرسم صور الحروف واتصالاتها ابتداء وتوسعا وتطرفا، و"النقطة" لقياسها ونسبقتها، وتحديد نسب بعضها من بعض، و"الدائرة" لفلكتها وأبعادها وتحديد الحيز الفضائي الذي يشغله كل حرف صعودا ونبولا، تقويرا وتدويرا. واعتبر ابن مقلّة "حرف الألف" الذي حدد طوله في خمس أو سبع نقاط أشرب الأشكال على الإطلاق، لأنه قطر الدائرة التي خرجت منها سائر الحروف

24 - بهسي، معجم مصطلحات الخط العربي والخطاطين، ص 4 - 5.
25 - هناك من النقاد من يرى أن البديع ليس هو السخ، وعلى رأس هؤلاء الخطاط، والباحث يوسف بنون الذي يعارض نظرية التسمية المتبادلة بين البديع والنسخ، أي أن كان اتجاهها، جملة وتقبلا، ونبه غير ما مر، على أن نظرية إطلاق تسمية الخط البديع على خط النسخ لا أساس لها من الصحة، فما هي إلا استنتاج خاطئ وقع فيه أحمد رضا، ولأنه من الذين كتبوا عن الخط في وقت مبكر من العصر الحديث، فقد تابعه من جاء بعده دونما تدقيق لما كتب.

26 - انظر ذنوب (يوسف)، قديم وجديد في أصل الخط العربي وتطوره في عصوره المختلفة، مجلة المورد، من إصدار دار الشؤون الثقافية، بغداد، عدد: 1986م، ص 16 انظر أيضا: حش، الخط العربي في الوثائق العثمانية، ص: 110.

28 - أرسلان (علي الب)، الخط العربي عند الأتراك، ترجمة: سهيل صابان، مجلة الدائرة، العدد الأول، السنة الثالثة والثلاثون، 2007م، ص 215 - 219.

ومنه يمكن القول؛ أن عدم الاستقرار في الصقعين المذكورين، يعقبه - ضمناً - عدم الاستمرار (السياسي والبشري والاقتصادي ثم الفني الذي هو زبنته وثمرته)، ولأن هذا الاستقرار كان حاصلًا في المغرب على يد المرينيين، كان من الطبيعي أن يكون المغرب المدرسة التاريخية المحورية في تلك المرحلة، التي أخذت على عاتقها مسؤولية تطوير الخط المغربي وبلورته، من خلال اختزال التجارب الفنية الإقليمية السابقة لدول الغرب الإسلامي بما في ذلك الأندلس، وبالتالي الإعلان عن ولادة ما يسمى في وقتنا الحاضر: **"بالخط المغربي"** وأصنافه المعروفة، وحينما نستعمل تسمية: **"الخط المغربي"** فإننا نحددها بالمفهوم الإقليمي الصيق، الذي يحيلنا على المغرب الأقصى، وليس كما يحاول البعض تسميته في وقتنا الحاضر **"بالخط المغاربي"**. ونحن إذ نردّ هذا الادعاء، نشير إلى أن الخط المغربي بدأ يعرف خصوصيته الإقليمية بشكل بارز منذ العصر السعدي، الذي يشهد فيه طفرة نوعية على المستوى الفني، وخاصة في عهد أحمد المنصور الذهبي الذي أسس مدرسة لتكوين لحطاطين، وتدرّس الخط على أصوله، ولا شك أن ما قام به المنصور الذهبي، يبين الجهود التي بذلها السعديون في الحفاظ على الخط المغربي سواء من منطلق استقلالهم السياسي، أو من منطلق تكوينهم لدولة قوية لها خصوصياتها التاريخية وعواندها الحضارية التي تميزت في كل المجالات، فكان مصطلح: **"مغربي"** يقابله مصطلح: **"عثماني"** في شمال إفريقيا التي خضعت كلها - باستثناء المغرب - للعثمانيين على جميع المستويات خلال مستهل العصر الحديث، بما في ذلك الجانب الفني. وعليه، يمكن القول أن الخط المغربي - وبلاستناد على هذه القرائن التاريخية والموضوعية - ستتأكد نسبته إلى المغرب الأقصى أو **"مملكة فاس"** كما كان يسميها الأتراك أنفسهم، وما يزالون يسمونها كذلك إلى اليوم.

الفصل الأول

الخطوط اللينة في العصرين المريني والسعدي، تأصيلها
التاريخي، إشكالية تنوعها، مؤسساتها التعليمية،
وعلاقتها بالخطوط المشرقية المزامنة لها
(دراسة تركيبية - شمولية)

يشير ابن سمالك العاملي في كتابه: "رونق التحبير في حكم السياسة والتدبير" إلى أنواع الخط خلال العصر المريني، حيث حصرها في أربعة أصناف نقل مسمياتها عن ابن السيد الذي ميز المبسوط من بينها، واعتبره الخط اللين الذي حلّ في نسخ المصاحف محلّ الخط الكوفي القديم، بينما أصبح استعمال هذا الأخير منحصرا في بعض الكتابات المعمرية وبعض المصاحف التي تعود إلى ما قبل القرن الخامس الهجري. يقول ابن سمالك: "ولا يُعرف اليوم في زماننا هذا [يقصد الفترة المزامنة لعصر المرينيين] من أصناف الخط غير أربعة أنواع: خط المغاربة: وهو الخط الذي يُكتب به الآن، ويستعمل من أقصى المغرب والأندلس إلى الإسكندرية، يُداول الكتب به أزيد من خمسمائة سنة. وخط المشاركة: وهو الذي يُكتب به في مصر والشام والحجاز والعراق وهو عندهم صغير الثلث²⁷. وخط المصاحف: وهو الخط المبسوط المتداول كُتبه لهذا العهد. وخط الجزم: وهو الخط الكوفي²⁸، ولم يبق منه اليوم إلا رسم قليل في نقش الحيطان وفي بعض المصاحف القديمة"²⁹.

27 - "صغير الثلث" هو صروب من صروب الحطوط التي كانت مستعملة في أعمال القديس والسحة بالشرق، وهو أقرب ما يكون إلى خط النسخ الحالي عندما كان في شكله الجبسي، وقد أطلق عليه ابن النديم خلال القرن الخامس الهجري تسمية: "قلم خفيف الثلث". انظر الفهرست، ص 20.

28 - تشير المصادر العربية - بشكل عام - إلى انتقال خط الجزم قبل الإسلام من الحيرة والأبواب إلى الحجاز وسما إلى مكة، وقد سمي ذلك الخط بهذا الاسم؛ لأنه جزم - أي قطع - من الخط المسند الحميري الذي كان سائدا في اليمن وفي خافة بندان شبه الجزيرة العربية منذ القرنين التاسع والعاشر قبل الميلاد. وبعد برول القرآن الكريم، راجت الكتابة في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، حتى بلغ عدد كُتّاب الوحي أكثر من أربعين كاتباً مما ساهم في تطور الحرف السائد في الحجاز آنذاك؛ ألا وهو خط الجزم الذي اكتسب سمات هبة جديدة أسفرت عن ظهور ما سمي بالخط الحجازي بصنفيه المكي والمدني، وقد تطور الخط الحجازي بشكل كبير في عهد سيدنا عثمان رضي الله تعالى عنه كما نلاحظ ذلك من خلال النسخ الأولى من المصاحف العثمانية التي وصلنا بعضها وفي عهد سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه أصبح المصحف الكريم يكتب بالخط الكوفي، وسمي بذلك - تحديداً - للدور التاريخي الذي قام به الخليفة الرابع فيب يتخلل بتجويد هذا الخط، حيث يعد خطه من أجمل الحطوط في صدر الإسلام، فهو بالتالي مبدعه، لكونه تحول من المدينة إلى الكوفة، فارتبطت تسمية هذا الخط بالكوفة، أكثر من ارتباطها بالمدينة. ويشير يوسف دنون في هذا الشأن إلى أن سم "الخط الكوفي" لم يرد للدلالة على مصطلح لمجموعة خطوط؛ لا في القرن الرابع الهجري عند أبي حبيب التوحيدي (310 - 414هـ/922 - 1023م)، ورأى أنه قد افترق بهذا المصطلح، مستدلاً في ذلك بكون معاصريه كابن النديم (ت 438هـ/1047م)، وابن البواب (350 - 413هـ/961 - 1022م)، لم يوردوا هذه التسمية. انظر يوسف دنون، قديم وجديد في أصل الخط العربي، ص 13.

ويرجعنا إلى رسالة أبي حيان التوحيدي، وهي: "رسالة في علم الكتابة"، وجدناه فعلاً يتحدث عن الخط الكوفي، حيث يقول: "وكانت العبرة في زمانهم بتعيين قواعد الخط الكوفي بأنواعه، وهي اثنا عشرة قاعدة...". انظر التوحيدي (ابو حيان)، رسالة في علم الكتابة، نشرت ضمن كتاب: "ثلاث رسائل لأبي حيان التوحيدي"، تحقيق: إبراهيم الكيلاني، المعهد الفرنسي بدمشق للدراسات العربية، 1951م، ص 29.

وبالرجوع أيضاً إلى كتاب "الفهرست" لابن النديم، وجدناه هو الآخر يذكر الخط الكوفي، لكنه لم يطلقه على مجموع الحطوط التي تسميها اليوم بأصناف الخط الكوفي، بقدر ما حرص على ذكره ضمن سياقها الزمني، بشكل يتناسب مع تطوره التكنولوجي وسماته الفنية، بدءاً من مكة، ومروراً بالمدينة والبصرة، ثم انتهاء بالكوفة التي نسب إليها يقول ابن النديم: "قال محمد بن إسحاق: فأول الخطوط العربية، الخط المكي، وبعده المدني، ثم البصري، ثم الكوفي، فأما المكي والمدني ففي ألفتاه تنوع إلى يمنة اليد وأعلى الأصابع، وفي شكله تضجاع يسير...". انظر: الفهرست، ص: 16.

29 - العاملي (ابن سمالك)، رونق التحبير في حكم السياسة والتدبير، تحقيق: سليمان القرشي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2004م، ص: 48.

وقد أكد سكيرج استعمال الخط المبسوط في كتابة نص القرآن الكريم، حيث ذهب إلى أنه أول خط كان يتعلمه الطلبة في الكتاتيب القرآنية بالمغرب، وسمي بالمبسوط - حسب رأيه - لبساطته وسهولة قراءته³⁰.

ومن خلال مقارنته ببعض الخطوط المشرقية، ذهب الحسن السائح إلى أن الخط عموماً: **"قد اختلف.. باختلاف البلاد الإسلامية، فهو في بلاد الفرس يعتمد طريقة خاصة في الأداء التصويري [يشير إلى خط التعليق الفارسي]، وفي الكوفة يظهر واضحاً جلال الخط الكوفي، وفي المغرب والأندلس خصوصية الانبساط والوضوح"**³¹.

وربما يرجع سر تسمية المبسوط بهذا الاسم إلى القطة المبسوطة التي يتميز بها الخط المغربي، والتي ورثها عن الخط الكوفي القديم. لذلك استعمل القلم المبسوط للخط المبسوط، في حين استعمل القلم المجوهر للخط المجوهر، وهو قلم ذو قطتين متباينتي الحجم، إحدهما تصغر عن الأخرى بنسبة الثلث تقريباً، تستخدم الكبرى لرسم أبدان الحروف، والصغرى لرسم أنسابها وأحواضها وزياداتها، بينما استخدم رأس القلم لرسم نقط الإعجام والحركات الإعرابية. وهذا القلم هو الذي اصطلاح على تسميته عند البعض بالقلم المدبب نسبة إلى رأسه الذي يشبه شكله الهندسي شكل الجواهر المدببة، ويستعمل هذا القلم في كتابة الخطوط الدقيقة الأخرى - إلى جانب المجوهر - وعلى رأسها الزمامي (المسند) الذي يُطبع مرسومه بالسرعة، وللقوف على أنواع الأقلام المستعملة في تحرير الخطوط المغربية جليلها ودقيقها، نقترح (الشكل: 1) الذي فضلنا من خلاله إبرار أوجه الانتلاف والاختلاف بين القلمين المشرقي والمغربي، وذلك حتى يكتمل وجه المقارنة³².

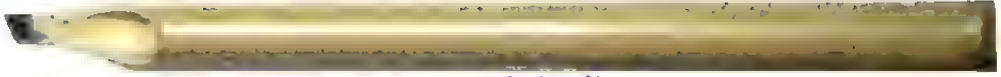
وقد ذهب سكيرج - في إطار تمييزه للخط المغربي عن الخط المشرقي - إلى أن **"الخط المغربي يلزم أن يبقى مغرباً، ما دام المغرب معروفاً بجمال الزليج في تزويقه، ونقش الجبس في تنميقة، وبالقرمود الأخضر في تنسيقه، وماء الفوارات في تدفقه، وما بقيت الجلابة والكساء والحياء في النساء"**³³.

30 - سكيرج (عبد الكريم)، الخط العربي المغربي، مجلة الثقافة المغربية، العدد الثاني، شتبر 1941م، ص: 72 - 67، نقلا عن المنوني (محمد)، تاريخ الوراقة المغربية، صناعة المخطوط المغربي من العصر الوسيط إلى الفترة المعاصرة، منشورات جامعة محمد الخامس، رقم 2، كلية الآداب- أرباط، 1991م، ملحق، ص 322.

31 - الحسن السائح، مرجع سابق، ص 26.

32 - لتأطاع على هذا الشكل وتفاصيله، راجع: حبطة (محمد عبد الحفيظ)، المصاحف والكتب المخطوطة في المغرب خلال العصورين المريني والسعدي. مساهمة في دراسة أصناف الخط المغربي وأقلامه، أطروحة جامعية غير منشورة، كلية الآداب - سبيس هاس 2010 - 2011م، ص: 739.

33 - سكيرج، الخط العربي المغربي، ص: 72 - 67، نقلا عن المنوني، تاريخ الوراقة المغربية، ملحق، ص: 321 - 322.



قلم مشرقى

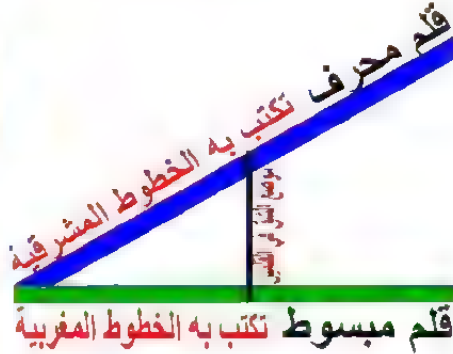


قلم مغربي

"القطعة المحرفة" في القلم المشرقي



"القطعة المبسوطة" في القلم المغربي



تفصيل لـ:



قلم محرف

القطعة المحرفة المستعملة في كتابة الخطوط المشرقية



قلم مبسوط

قطعة مبسوطة استعملت في كتابة الخطوط المغربية القديمة، وخاصة المبسوطة الذي كان لا يزال غير متحرر من صور الخط الكوفي القديم



قلم مجوهر

راس القلم المغربي وتوفره على قطينتين متباينتي الحجم، إحداها تصغر الأخرى بنمبة الثلث، تستعمل الكبرى لرسم أيدان الحروف، والصغرى لرسم أذناها وأحواضها وزاداتها، وهو القلم الذي يسميه البعض بالقلم المدب

مقارنة بين القطعة المحرفة في القلم المشرقي والقطعة المبسوطة والمدببة في القلم المغربي.

شكل: 1

بإفراده على قوانين يلقيها المعلم للمتعلم، وإنما يتعلم بمحاكاة الخط من كتابة الكلمات جملة، ويكون ذلك من المتعلم ومطالعة المعلم له، إلى أن يحصل له الإجابة ويتمكن في بنائه الملكة، فيسمى مجيداً³⁵.

وفي نفس السياق، أشار الرفاعي - في العصر العلوي - إلى طبيعة تعليم الخط وتلقيه من الشيوخ في المغرب من خلال حلقات العلم، حيث اشترط في مؤدب أبناء المسلمين ومعلمهم، أن يكون عارفاً بصور الحروف وهيئتها. يقول الرفاعي: "وأما المؤدب لأولاد المؤمنين، فينبغي له أن يعرف أصول الحروف بإتيانها على تمام هيئتها، ليطلعهم كيفيتها، فيحصل له بذلك فضل زائد على الخير الموعود"³⁶. وأكد في موضع آخر على أنه "ينبغي للكاتب أن يبين الحروف الموصولة كالعين والفاء والقاف والميم في [ال] كلمة، بحيث يميز صورة العين من صورة القاف والميم، وإلا أدى ذلك إلى الإشكال"³⁷.

ولا شك أن المقصود "بمؤدب أولاد المؤمنين"، الذي أشار إليه الرفاعي، هو الشيخ المربي الذي كان يحفظ الصبيان القرآن الكريم وبعض المتون النحوية والفقهية، كالأجرومية وابن عاشر وسيدي خليل وما إلى ذلك.. وغالباً ما كان يتم ذلك - على عادة أهل المغرب - في الكتاتيب القرآنية ومؤسسات التعليم العتيق. ولأن حفظ القرآن الكريم - على وجه الخصوص - ارتبط عند المغاربة بالكتابة على الألواح الخشبية (حيث يتم ختمه كتابة وحفظاً بالتسلسل والتناوب بين الكتابة والمحو، إلى غاية إتمام الختمة أو ما يسمى: بـ "السلكة" عند المغاربة)، كان لزاماً على التلميذ أو الطالب أن يتعلم عن شيخه - أولاً - إجابة الخط وأوضاع الكتابة، وأشكال الحروف وفصلها ووصلها، وذلك بغرض ضبط نص القرآن الكريم كتابة وحفظاً، سيما وأن القرآن الكريم ارتبط بعلم آخر هو: "علم الرسم" الذي ارتبط بدوره بـ "علم الخط" ارتباطاً الدال بالمدلول عليه.

وحتى نجري مقارنة دلالية، نشير إلى أن تعلم الخط في المشرق، وسياً في مصر، ارتبط أيضاً - كما هو الأمر في المغرب - بحفظ القرآن الكريم وحفظ المتون العلمية، كما عبر عن ذلك شعبان بن محمد الأثاري القرشي الموصلية المصري (765 - 828هـ/1363 - 1424م) في ألفيته؛ التي نظمها في علم الخط سنة: 790هـ/1387م، حيث يقول في هذا المعنى³⁸:

³⁵ - ابن خلدون (عبد الرحمن)، المقدمة، تحقيق خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية 1988م، ص: 524

³⁶ - الرفاعي، حلية الكتاب، ص: 21

³⁷ - نفس المصدر، ص: 24.

³⁸ - ابن الأثاري (شعبان بن محمد)، العناية الربانية في الطريقة الشعبية، تحقيق: هلال ناجي، مجلة المورد، المجلد الثامن، العدد الثاني، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1979م، ص: 278

فابداً بعلم الخط للإتقان ثم إلى علم الحلال والحرام

وبعده بالحفظ في القرآن
حينئذ تكن من الكرام

إضافة إلى حفظ وتحفيظ القرآن الكريم والمتون العلمية، نشأت ظاهرة فريدة في المغرب ترتبط بـ: "علم المخطوط" (الكوديكولوجيا)، ألا وهي: ظاهرة: "النسخة الجماعية"، أو "التنسيخ الجماعي" كما وردت تسميتها في: "معجم مصطلحات المخطوط العربي"³⁹، حيث كان يُجزأ من خلالها المخطوط إلى أجزاء متعددة، ليتم نسخه عن طريق تكوين فريق من النساخ؛ بغية اختزال المراحل الزمنية التي يتطلبها أمر الانتهاء من كل نسخة، وبالتالي تلبية الطلب المتزايد على أصناف المخطوطات التي نشطت عملية نسخها من أصولها، سيما تلك الأصول التي سلمت من الإتلاف والإحراق خلال العصرين المرابطي والموحدي بسبب بعض الاختلافات المذهبية⁴⁰.

وقد تركزت هذه الظاهرة اعتباراً من فترة الدولة المرينية التي شجعت ذلك بشكل غير مسبوق، وفي الوقت الذي لم تُعرف فيه عند المشاركة إلا في نطاق ضيق، وجندناها منتشرة في الغرب الإسلامي منذ القرون الهجرية الأولى، لتشتهر بعد ذلك في الزوايا المغربية التي كانت

39 - ببين (حمد شوقي)، طوبى (مصطفى)، معجم مصطلحات المخطوط العربي: قاموس كوديكولوجي، المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش، الطبعة الأولى: 2003م، ص 65

40 - يذكر المراكشي في هذا الشأن أن فقهاء المالكية كفروا كل من طهر منه الحوض في علم الكلام، بل إنهم أخذوا يقبحونه لعلي بن يوسف المرابطي، حتى "استحکم في نفسه بغض علم الكلام وأهله، فكان يكتب عنه في كل وقت إلى البلاد بالتشديد في نفي الخوض في شيء منه، وتوعد من وجد عنده شيء من كتبه، ولما دخلت كتب أبي حامد الغزالي رحمه الله المغرب، أمر أمير المسلمين بإحراقها، وتقدم بالوعد الشديد من سفك الدم، واستكمال المال إلى من وجد عنده شيء منها، واشتد الأمر في ذلك".
المراكشي (عبد الواحد بن علي)، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، دراسة وتحقيق الدكتور صلاح الدين الهوارى، نشر المكتبة المصرية، بيروت، طبعة 2006م، ص: 131. ويذكر ابن القطان - وهو أحد مناصري الموحدين - أنه لم يحرق من كتب الإمام العراسي إلا كتاب "إحياء علوم الدين"، بعد إجماع فقهاء الأندلس على ذلك، برعامة قاضي قرطبة: "أبي عبد الله محمد بن علي بن حمدين"، حيث "حرق في رحبة مسجدنا [قرطبة] على الباب الغربي على هيئته بجلوده بعد إشباعه زيتاً، وحضر لذلك جماعة من أعيان الناس". ابن القطان المراكشي (أبو محمد علي بن حسن الكتاني)، نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمن، تحقيق محمود علي مكي، دار العرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى: 1990م، ص: 70 - 71

أما فيما يتعلق بالعصر الموحدي فالناصرى يذكر أن عبد المومن بن علي الكومي أمر في سنة 550هـ/1155م.. بتحريق كتب الفروع، ورد الناس إلى قراءة كتب الحديث واستنباط الأحكام منها، وكتب بذلك إلى جميع طلبة العلم من بلاد الأندلس والعدوة".
الناصرى (أبو العباس أحمد بن خالد)، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق ولدي المؤلف: جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1997م، ج/2، ص: 125. أما المراكشي فيذكر أنه وبمجرد تولي أبي يوسف يعقوب (المنصور) الموحدي سلطنة سنة 580هـ/1184م، "انقطع علم الفروع [في أيامه] وخافه الفقهاء، وأمر بإحراق كتب المذهب [المالكي] بعد أن يجر ما فيها من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم والقرآن، ففعل ذلك، فأحرق منها جملة في البلاد كمدونة سحنون، وكتاب ابن يونس، ونوافذ ابن أبي زيد ومختصره، وكتاب التهذيب للبراذعي، وواضحة ابن حبيب، وما جالس هذه الكتب ونحا نحوها". وقد كان المراكشي شاهد عيان في تلك الواقعة، حيث يقول "لقد شهدت منها وأن يومئذ بمدينة فاس، يوتى منها بالأحمال فتوضع ويطلق فيها النيران، ويطلق على ذلك قتالاً: "وكان قصد [أبو يوسف يعقوب] في الجملة محو مذهب مالك، وإزالة من المغرب مرة واحدة، وحمل الناس على الظاهر من القرآن والحديث، وهذا المقصد بعينه كان مقصد أبيه [أبي يعقوب يوسف] وجده [عبد المومن بن علي الكومي]، إلا أنهم لم يظهروا وظهره يعقوب هذا". المراكشي، المعجب، صفحات: 202 - 203 - 204. وبعد وفاة أبي يوسف يعقوب سنة 595هـ/1198م وصعود ابنه محمد الناصر إلى الحكم "بلغه [حسب ما يرويه ابن الأحمر] وهو أحد مناصري المرينيين] أن الفقهاء من المالكية ينكرون عليه ذلك [يعني تبنيه للمذهب الظاهري]، ويقولون: الحق هو مذهب العدوثة". ما كالم منه إلا أن عديمهم "أمر بجمع ما وجد من النسخ منها [العدوثة] بالمغرب وإحراقها، فأحرقته عن آخرها، ثم إن الله تعالى مرق ملكه، فكانت عليه وقعة العقاب [سنة: 610هـ/1213م]، التي خلا فيها المغرب بأسره والأندلس، ومن ثم وأمرهم يزيد في نقصان، إلى أن قطع الله شأقتهم بأمر المؤمنين يعقوب المنصور ابن عبد الحق المريني، فأخرجهم من مراكش، وأهلكوا إلى الآن [مستهل العصر المريني]". ببوات فاس الكبرى، شارك في تأليفه: إسماعيل بن الأحمر، دار المنصور للطباعة، الرباط، طبعة: 1972م، ص 19-20

راجع تفصيل ذلك في أطروحتنا لنيل الدكتوراه محمد عبد الحفيظ، مرجع سابق، الفصل التمهيدي، صص 118 - 146

مراكز علمية هامة تستنسخ فيها مختلف المخطوطات العلمية⁴¹، وقد أشار أوكثاف هوداس إلى إرهاباتها الأولية في بحثه عن الخط المغربي، حيث أثبت ذلك بقوله: **"..ولكي يتيسر لجماعة عديدة من الطلبة أن يستفيدوا من النسخة الوحيدة دفعة واحدة، يجرأ كل سفر إلى عدد ما من الأجزاء.. ويسلم كل جزء، بالتوالي للطلاب، يأخذ منه عادة نسخة، ويحتفظ به ما طالت الشروح المتعلقة بهذا القسم من الدرس"**⁴².

ولم تُعرف هذه الظاهرة - التي سميت: **"بُسيا" (Pecia)** - في أوربا إلا في مستهل القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي مع إنشاء الجامعات في أوربا، بسبب تعدد الطلبة وقلة المخطوطات، فاجأوا إليها لتلبية رغبات الطلبة المتزايدة يوماً بعد يوم⁴³.

من خلال ما سبق، يمكن القول أن ظاهرة: **"النساخت الجماعية"** ساهمت بشكل أو بآخر في تعدد أصناف الخط المغربي وأساليبه التي عرفت تنوعاً كبيراً؛ وهو التنوع الذي ارتبط بمعطى تاريخي يتم عن كتابة الخط المغربي من قبل مجموعة من الخطاطين الأندلسيين والمغاربة بأشكال وطرق مختلفة - منذ ما قبل العصر الموحي - قد تتباعد وتختلف أو تقتارب وتتشبه مع الخط المشرقي، بل ومنهم من كان يكتب بالطريقتين المغربية والمشرقية على حد سواء. وفي هذا المضمار؛ أورد ابن عبد الملك المراكشي (634 - 703هـ/1237 - 1303م)، عدة إشارات تؤكد هذا التنوع، من ضمنها إشارة لخطاط يدعى: أبو موسى الخزولي دفين مدينة أزمور (540 - 607هـ/1145 - 1211م) كان **"حسن الخط المشرقي"**⁴⁴، وإشارة أخرى لخطاط آخر اسمه: أبو الحسن القلّني؛ كان **"حسن الخط في الطريقتين: الشرقية والغربية"**⁴⁵.

ومن ضمن أهم التراجم التي أوردها ابن عبد الملك أيضاً: ترجمة القاضي: **"ابن المناصف محمد بن عيسى الأزدي القرطبي"** (563 - 620هـ/1168 - 1223م)، الذي كان يكتب ثلاثة عشر نوعاً من الخط المغربي - الأندلسي، فضلاً عن الخط المشرقي. يقول ابن عبد الملك عن هذا العَلم: **"وكان.. بارع الخط في كل طريقة. ذكر لي شيخنا أبو محمد ابن القطان**

⁴¹ - هناك من يعتقد أن السبب في هو الجزء في التراث العربي المخطوط ولكن البسيا (Pecia) هي ورقتان أو أربع صفحات أما الجزء، فيمكن أن يتجاوز مئة صفحة.

إسطر: بنين (أحمد شوقي)، المخطوط العربي في الغرب الإسلامي، مجلة التاريخ العربي، عدد 34، ربيع 2005م، الموقع الإلكتروني لمجلة التاريخ العربي، دون ترقيم.

⁴² - هوداس (أوكثاف)، محاضرة في الخط المغربي، ترجمة عبد المجيد التركي، قضايا ثقافية من تاريخ العرب الإسلامي، (بصوم ودراسات)، دار الغرب الإسلامي، 1988م، ص: 449 - 450.

⁴³ - هناك من يعتقد أن البسيا هي هو الجزء في التراث العربي المخطوط ولكن البسيا (Pecia) هي ورقتان أو أربع صفحات أما الجزء، فيمكن أن يتجاوز مئة صفحة.

إسطر: أحمد شوقي بنين، المخطوط العربي في الغرب الإسلامي، الموقع الإلكتروني لمجلة التاريخ العربي، دون ترقيم.

⁴⁴ - ابن عبد الملك المراكشي، الدليل والتكملة، ج/5، ص 118.

⁴⁵ - ابن عبد الملك المراكشي، الدليل والتكملة، ج/5، ص 75.

أنه كان يكتب ثلاث عشرة طريقة هو فيها كلها مُجيد.. [و] قد رأيت منها أربع طرائق وهي كما وصف شيخنا أبو محمد⁴⁶. ومن بين النسخ المحطوبة التي وقف عليها ابن عبد الملك؛ كتاب: "الإجماع في الجهاد"، و"الدَّرَةُ السُّنِّيَّةُ فِي الْمَعَالِمِ السُّنِّيَّةِ" التي رقمها ابن المناصف "بخطه المشرقي"⁴⁷، فضلاً عن "المُذْهَبَةُ فِي نَظْمِ الصِّفَاتِ مِنَ الْخُلِيِّ وَالشَّيْثَاتِ" و"المُعَقَّبَةُ لِكِتَابِ الْمُذْهَبَةِ" التي رقمها "بخطه المغربي". وطرر حواشيها بخطه المشرقي⁴⁸.

ويشير ابن عبد الملك المراكشي إلى أن ابن المناصف انتهى به المطاف بمدينة مراكش بعد قيام دولة الموحدين، حيث استقر بها إلى حين وفاته صحبة أخ له يدعى: "موسى بن عيسى بن المناصف" (ت. 627هـ/1230م)، عُرف عنه أيضاً حذقه للخط المغربي بنص شهادة صاحب الذيل والتكملة الذي قال عنه: "وكان [موسى بن عيسى ابن المناصف] من أبرع الناس خطاً في الطريقة المغربية"⁴⁹.

ولعل هذا التنوع في الخط وفي طرائق الخطاطين المغاربة والأندلسيين له ما يبرره، إذ أنه كان نتاجاً لمدارس في الخط ظهرت في الأندلس منذ أواخر العصر المرابطي وبداية العصر الموحيدي، كمدرسة: "ابن أبي الخصال" (465 - 540هـ/1073 - 1146م). ومدرسة: "ابن خير الإشبيلي" (502 - 575هـ/1108 - 1179م)⁵⁰. ولا شك أن وجود مثل هذه المدارس، قد ساهم في تنوع صيت خطاطين مُجيدين ومُجَوِّدين في كل من المغرب والأندلس، ونستدل في ذلك - على سبيل المثال - بعبد الله بن محمد بن عبد الله المعروف بابن نمام (483 - 560هـ/1090 - 1165م)⁵¹ الذي عاصر الدولة المرابطية وأوائل الدولة الموحدية. حيث كان "يكتب بأنواع الخطوط من الریحاني، والمشرقي، إلى غير ذلك، فلا يدري من يزيد في الحسن على صاحبه"⁵². ويبقى "ابن غطوس" المتوفى سنة: 610هـ/1213م أشهر الخطاطين الأندلسيين الذين انتشر خبرهم خلال العصر الموحيدي، وامتدت شهرتهم إلى المشرق، حيث كثر الطلب على مصاحفه التي كان ينسخها، حتى استدل بها ابن سعيد المغربي

46 - ابن عبد الملك المراكشي (أبو عبد الله محمد الأصباري)، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تحقيق: إحسان عباس، محمد بن شريف، نشر عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، تونس، الطبعة الأولى: 2012م، ج 5/ ص. 246

47 - نفس المصدر، ج 5/ ص: 246 - 247.

48 - نفس المصدر، ج 5/ ص: 247.

49 - نفس المصدر، ج 5/ ص: 292.

50 - نفس المصدر، ج 1/ ص: 169.

51 - بعد قيام دولة الموحدين أحد ابن نمام "ينال من الموحدين، وسجن على سب المهدي.. حتى إنه في جمعة من الجمع حين استولى الخطيب على المنبر، وأخذ يعظم الإمام، قال له: كُتبت لعلك الله. فخذ من حينه وثقف، وبقي مكبلاً في سجن مائة مدة ونقل إلى مراكش.. فكتب يستعطف أمير المؤمنين المنصور ويصف حاله ويسأله فقه من وثاقه..." انظر:

بن عسكر (أبي عبد الله) ر ابن حميس (أبي بكر)، أعلام مالقة، المسمى: "مطلع الأنوار ونزهة البصائر والأبصار"، تقديم وتحرير وتعليق عبد الله المرابط القرغي، نشر مشترك: دار الأمان، الرباط. ودار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى: 1999م، ص 233.

52 - نفس المصدر، ص: 232

(610 - 685هـ/1213 - 1286م) في إشارته إلى تميز الخط الأندلسي ورونقه عند مقارنته بالخطوط المشرقية، حيث قال: "أما أصول الخط المشرقي وما تجده في القلب واللمحظ من القبول فمستلم له، لكن خط الأندلس الذي رأيته في مصاحف ابن غطوس الذي كان بشرق الأندلس وغيره من الخطوط المنسوبة عندهم له حسن فائق، ورونق أخذ بالعقل، وترتيب يشهد لصاحبه بكثرة الصبر والتجويد"⁵³.

وقد روى ابن الأبار (595 - 658هـ/1199 - 1260م) عن ابن هُذَيْل أن ابن غطوس: "كَانَ يَكْتُبُ الْمَصَاحِفَ وَيَنْقُطُهَا، وَأَنْفَرَدَ فِي وَقْتِهِ بِالْإِمْلَةِ فِي ذَلِكَ؛ بَرَاعَةً خَطَّ وَجُودَةً ضَبْطَ وَيُقَالُ أَنَّهُ كَتَبَ أَلْفَ نُسْخَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَلَمْ يَزَلِ الْمُلُوكُ فَمَنْ دُونَهُمْ يَتَنَافَسُونَ فِيهَا إِلَى الْيَوْمِ [القرن السابع الهجري]، وَكَانَ قَدْ آلَى عَلَى نَفْسِهِ أَلَّا يَخْطُ حَرْفًا مِنْ غَيْرِهِ وَلَا يَخْطُ بِهِ سِوَاهُ تَقَرُّبًا إِلَى اللَّهِ وَتَنْزِيهَا لَتَنْزِيلِهِ، فَمَا حَنَثَ فِيهَا أَعْلَمَ، وَأَقَامَ عَلَى ذَلِكَ حَيَاتِهِ كُلَّهَا، خَلْفَ ابْنَاهُ وَأَخَاهُ فِي هَذِهِ الصَّنَاعَةِ الَّتِي تَمِيزُوا بِهَا، وَكَانَ مَعْرُوفًا فِيهَا وَفِي إِبْدَاعِهَا، آيَةٌ مِنْ آيَاتِ خَالِقِهِ مَعَ الْخَيْرِ وَالصَّلَاحِ وَالْإِنْتِبَاضِ عَنِ النَّاسِ وَالْعُزُوفِ عَنْهُمْ"⁵⁴.

ويؤكد الصفيدي (696 - 764هـ/1296 - 1363م) أنه رأى "بُخْطَهُ مُصَحِّفًا أَوْ أَكْثَرَ، وَهُوَ شَيْءٌ غَرِيبٌ مِنْ حَسَنِ الْوَضْعِ وَرِعَايَةِ الْمَرْسُومِ، وَلِكُلِّ ضَبْطٍ لَوْنٍ مِنَ الْأَلْوَانِ لَا يَخْلُ بِهِ؛ فَالْإِزْدَادُ لِلشَّدَاتِ وَالْجُزْمَاتِ، وَاللَّكُّ لِلضَّمَاتِ وَلِلْفَتْحَاتِ وَالْكَسَرَاتِ، وَالْأَخْضَرُ لِلْهَمْزَاتِ الْمَكْسُورَةِ، وَالْأَصْفَرُ لِلْهَمْزَاتِ الْمُفْتُوحَةِ، لَا يَخْلُ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ، وَلَيْسَ فِيهِ وَادٌ وَلَا أَلْفٌ وَلَا حَرْفٌ وَلَا كَلِمَةٌ فِي الْحَاشِيَةِ، وَلَا تَخْرِيجَةٌ، وَكَأَنَّهُ مَتَى فَسَدَ مَعَهُ شَيْءٌ أَبْطَلَ تِلْكَ الْقَائِمَةَ"⁵⁵.

وروى الصفيدي أيضا أن ابن غطوس كان لا يهدي أحد مصاحفه إلا بمائتي دينار⁵⁶. وقد كانت مصاحف هذا الخطاط من أسمى النماذج التي اشتهرت خلال العصر الموحد (انظر شكل: 22 في الملحق)⁵⁷؛ وبالضبط في عهدي الخليفين الموحدين أبي يوسف يعقوب المنصور (580 - 594هـ/1184 - 1198م)، وابنه محمد الناصر (594 - 610هـ/1198 - 1213م)، حيث كانت الأندلس - آنذ - ولاية تابعة للسلطة المركزية في المغرب، وعليه، يمكن القول أن التسمية الصحيحة (للخط الأندلسي) - ابتداء من العصر المرابطي ثم العصور التي تليه - يجب أن تكون هي: "الخط الأندلسي - المغربي"، وذلك بالنظر للدور البارز الذي

⁵³ - نقل عن المقرئ (أحمد بن محمد)، نسخ الطيب من غصن الأندلس الرطيب تحقيق إحسان عباس، دار صادر - بيروت، الطبعة الأولى: 1997م، ج/3، ص: 151.

⁵⁴ - ابن الأبار (أبو عبد الله محمد بن عبد الله القصاعي)، التكملة لكتاب الصلاة، تحقيق عبد السلام الهراس، دار الفكر، لبنان، 1995م، ج/2، ص: 105.

⁵⁵ - الصفيدي (صلاح الدين خليل بن أبيه بن عبد الله)، الوافي بالوفيات، تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، سنة: 2000م، ج/3، ص: 281.

⁵⁶ - الصفيدي، الوافي بالوفيات، ج/3، ص: 280.

⁵⁷ - لتوقف على إحدى مصاحف ابن غطوس؛ راجع أطروحتنا لنيل الدكتوراه. محمد عبد الحفيظ خبطة، مرجع سابق، ص: 97.

لعبته الدولتان المغربيتان المذكورتان في تطوير هذا الخط، فهو خط أندلسي المولد والمنشأ، مغربي الحلق والإجادة.

وبالرغم من تداعي الأوضاع السياسية في أواخر العصر الموحيدي، إلا أن الخط المغربي ظل محافظاً على رونقه، فهناك - على سبيل المثال - ما يفيد أن أبا حفص عمر المرتضى الموحيدي (646 - 665هـ/1248 - 1266م) كان بلاطه يتوفر على "ديوان للخطاطين" يشرف عليهم رئيس مسؤول عنهم⁵⁸.

وفي عهد نفس الخليفة، عُرف أول مركز عمومي للنسخة، وهو خزانة مدرسة العلم بالجامع المرتضى من مراكش الجديدة⁵⁹. ولا شك أن مثل هذه المراكز، قد خُصّصت لنسخ الكتب النادرة من أصولها، فضلاً عن المصاحف التي نالت الحظ الأوفر من طرف السلاطين المغاربة، من حيث اختيار أمهر الخطاطين والوراقين والمزخرفين والمسفرين، بل إن المرتضى نفسه كان خطاطاً بارعاً، يحسن الكتابة بالطريقتين: المغربية والمشرقية، وفي هذا الشأن يذكر ابن عذاري أنه كان يكتب بثلاثة خطوط. دارت به رحى الأيام فاستقر سنة: 712هـ/1312م، بعد إقصائه من الحكم "بجبل سكساوة [في أحواز مراكش، حيث صار] يعيش من النسخ"⁶⁰.

وقد نسخ المرتضى في فترة حكمه أربعة مصحفية بخطه، وتعد هذه الربعة من أندر الربعات التي تحتفظ بها الخزانات المغربية، حيث حبسها الخليفة الموحيدي على "جامع السقاية" الذي بناه بمدينة مراكش سنة: 656هـ/1258م، وهي ربعة قرآنية كاملة تتألف من 10 أجزاء، يحتوي كل جزء منها على 6 أحزاب، انتهى المرتضى من كتابتها سنة: 654هـ/1256م (انظر شكل: 24 في الملحق)⁶¹.

وكانت هذه الربعة توجد كاملة بمكتبة: "ابن يوسف" بمراكش حتى سنة: 1149هـ/1736م، حيث استعارها محتسب المدينة، ولم يبق منها - اليوم - بخزانة ابن يوسف إلا 5 أجزاء⁶²، أما الأجزاء الأخرى فقد آل بعضها إلى الخزنة الوطنية بالرباط، والبعض

⁵⁸ - المتوني، تاريخ الوراقة المغربية، ص 28

⁵⁹ - نفس المرجع، ص: 29

⁶⁰ - ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، قسم الموحدين، تحقيق: محمد إبراهيم الكتاني وأخرون، دار العرب الإسلامي، بيروت، طبعة الأولى: 1985م، ص: 447.

⁶¹ للوقوف على الدراسة التاريخية والتشريح التي لمصنف عمر المرتضى الموحيدي، راجع أطروحتنا لنيل الدكتوراه محمد عبد الحفيظ حيط، مرجع سابق، صص 105 - 118

⁶² - المتوني (محمد)، مركز المصنف الشريف بالمغرب، مجلة دعوة الحق، الرباط، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، عدد 3، السنة الحادية عشرة، يناير، 1968م، ص 78.

الأخر منها كان معروضا بمتحف الأوداية بالرباط، بينما فقد أحد أجزائها وهو الجزء الثامن الذي اختفى أثره.

بعد سقوط الدولة الموحدية سنة: 668هـ/1269م وارتقاء المرينيين لسدة الحكم، استمر اهتمام السلاطين المغاربة بتعليم الخط وتعلمه بشكل رسمي يضمن تطوره وتجويد أساليبه، وحسبنا في الاستدلال على هذا الأمر؛ بما قام به السلطان: أبو الحسن المريني (731 - 749هـ/1331 - 1348م) على غرار سلفه المرتضى الموحي، حيث نسخ - هو الآخر - مصحفا يمينه (انظر شكل: 29 في الملحق)⁶³.

وفي هذا الشأن؛ يشير ابن مرزوق (710 - 781هـ/1310 - 1379م) - وهو المؤرخ الرسمي لأبي الحسن - إلى أن ولي نعمته "نسخ مصحفا وحسبه على شأله، ثم كتب ثلاثة مصاحف أخرى أهداها إلى المساجد الحرم الثلاثة، التي تشد إليها الرحال من كل حذب وصوب، كما شرع في نسخ مصحف خامس برسم المقام الخليلي، إلا أن المنية عاجلته قبل الانتهاء منه"⁶⁴. وقد تمّ إبنائه الإثنان: السلطان أبو عنان فارس (749-759هـ/1348-1358م)، والسلطان أبو فارس عبد العزيز (767 - 773هـ/1366 - 1372م)، بعض أجزاء المصحف الخليلي المذكور.

ويشير أحمد المقرئ (986 - 1041هـ/1578 - 1631م) إلى أنه قد وقف بنفسه على أحد تلك المصاحف، وهو المصحف المحفوظ بخزانة بيت المقدس. يقول المقرئ: "كان السلطان أبو الحسن المريني قد كتب ثلاثة مصاحف شريفة بخطه وأرسلها إلى المساجد الثلاثة التي تشد إليها الرحال ووقف عليها أوقافا جليلة، وقد كتب سلطان مصر والشام توقيعه بمساحتها، من إنشاء الأديب الشهير جمال الدين بن نباتة المصري، ونص ما يتعلق به الغرض منه هنا قوله، مادحا كاتبها السلطان أبي الحسن المريني: ..وقد رأيت أحد المصاحف المذكورة، وهو الذي ببيت المقدس، ورعته في غاية الصنعة"⁶⁵.

⁶³ - للوقوف على الدراسة التاريخية والتشريح الفني لمصحف أبي الحسن المريني؛ راجع أطروحتنا لبليل الدكتوراه محمد عبد الحفيظ حيطه، مرجع سابق، صص 215 - 236

⁶⁴ ابن مرزوق (محمد)، المسند الصحيح الحسن، في آثار ومحاسن مولانا أبي الحسن، تحقيق: ماريا بيخيرا، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981م، ص: 478. وقد تولى عملية إكمال المصحف الخليلي ولدي أبي الحسن أبو عنان فارس وأبو فارس عبد العزيز يقول ابن مرزوق: "وتعرفت [ابن مرزوق] الآن عن اشتغال مولانا المؤيد أبي فارس بتكتمتها"

⁶⁵ - المقرئ، فتح الطبيب، ج/4، ص: 399-400

ولإثبات هذا الوقف وتأبيده، أبى أبو الحسن إلا أن يرفقه بوثيقة حبسية تؤكد صحته ونفوذه، وهي الوثيقة التي أورد ابن الوردي (691 - 749هـ/1292 - 1349م) نصها كاملاً في الجزء الثاني من تاريخه⁶⁶.

والمشهور - حسب ما تقدمه لنا المصادر - أن أبا الحسن، عُرف بإجادة الخط المبسوط "المصحفي"، وإماعته في ضبط صور حروفه، بشكل لا يجاريه ولا يصاهيه فيه أحد من السلاطين، والسر في ذلك يرجع إلى اكتسابه لمهارات الصنعة، من خلال تتلمذه على يد أحد كبار الخطاطين المجيدين في عهده، ألا وهو: "المنجلي"، الذي وصفه ابن مرزوق؛ بالمنفرد في تجويد الخط في ذلك الوقت، فقد كان أستاذه في هذا الفن، "ومنه تعلم [أبو الحسن] أصوله، حتى صار خطه يختلط بخط معلمه"⁶⁷، وقال عنه المقري: "كان [أبو الحسن] حسن الكتابة كثير الإتيان، ذا بلاغة وبراعة وشهامة وشجاعة"⁶⁸. ولأن أبا الحسن كان حريصاً كل الحرص على تجويد خطه إلى حد يبلغ معه المرام، أبى أيضاً إلا أن يستعين بصفوة من العلماء من أهل الاختصاص، من ضمهم ابن مرزوق الذي لازمه أثناء نسخه للمصحف المكي، والمصحف المقدسي، والمصحف الإبراهيمي⁶⁹.

وحتى يتم ضبط المصاحف التي نسخها أبو الحسن من حيث الرسم المتعارف عليه في المغرب، والذي يخضع لرواية ورش عن نافع، من طريق الأزرق، سارع - بمجرد الانتهاء من عملية النسخ - إلى عرض ربعته على فريق من الفقهاء من أهل الاختصاص في علم القراءات، وقد جمع أبو الحسن بين الحسينيين، حينما انتدب فريقاً آخر من طيبة الفنانين بمختلف تخصصاتهم، وذلك لتتميم الربعة وتزيينها وتسفيرها. يقول الناصري في ذلك: "وجمع الوراقين لتتميمها وتذهيبها، والقراء لضبطها وتهذيبها [ربعة مكة المكرمة]، وصنع لها وعاء

66 - أورد ابن الوردي مقتضعات من الوثيقة، ونصها ما يلي: "الحمد لله الذي أرفق لعزائم الموحدين غريباً، وأطلعهم بهمهم حتى في مطلع الغرب شهياً، وعرف بين قلوب المؤمنين حتى كان البعد قريباً، وكان القيان قلباً، وأبد بولاء هذا البيت الناصري ملوك الأرض وعبيد الحق سلماً وحرماً، وعضد ببقائه كل ملك إذا نزل البر أنيته يوم الكفاح أسلاً ويوم السماح عشياً، وإذا ركب البحر لنهب الأعداء كان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصياً، وإذا بحث هداياه المتنوعة كانت عراباً تصحب عراباً، ورياضاً تصحب سحياً. وإذا وقف أوقاف البر سمعت الأفاق من خط يده قرأنا عجباً، واهتزت بذكره عجباً، وفيها: وذو الولاء قريب وإن نأت داره، ودن بالمحبة وإن شط شط يحره ومزاره، وهو يأخذه النيرة محبوب كالجنة قبل أن ترى موصوف كوصف المشاهد، وإن حالت عن الاكتحال بظلمته أميال السرى، ولما كان السلطان أبو الحسن سر الله ببقائه الإسلام والمسلمين، وسره بما كتب من اسمه في أصحاب اليمين: [وما أدراك ما صاحب اليمين]، هو الذي مد اليمين بالسيف والظلم، فكتب في أصحابها وسطر الختمات الشريفة فنصر الله حزيه بما سطر من أحزابها، ومد الرماح رشية، فاشتقت من قلوب الأعداء كليباً والأقلام أروية، فشتت ضعف البصائر وحسبك بالذكر الحكيم طيباً، وفيها: ثم وصلت ختمات شريفة كتبها بقلمه المجيد المجدي، وخط سطورها بالعربي، وطالما خط في صفوف الأعداء بالهندي. وفيها: وأمر بترتيب خزنة وقراء على مطلع افقها، ووقف أوقافها تجرى أقلام الحسان في إطلاقها وطلقها، وحبس أملاكاً شامية تحدث بنعم الأملاك التي سرت من مغرب الشمس إلى مشرقها، ورجب في المساحة على تلك الأملاك من أحجار وموزونات وأوضاع ديوانية وضع بها خط المسامحة في دواوين الحسان المسطرات فأجيب على البعد داعيه وقبول بالإسماعف والإسعاف وفقه ومسامحه، وختمها بقوله: والله تعالى يمتع من وقف هذه الجهات بما سطر له في أكرم الصان. وينفع الجالس مكن ولاية الأمور في تقريرها ويتقبل من الوافق".

ابن الوردي (زين الدين عمر بن مطهر)، التاريخ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1996م، ج/2، ص: 336 - 337.

67 - ابن مرزوق، المسند، ص: 474.

68 - المقري، فتح الطبيب، ج/4، ص: 400.

69 - نفس المصدر، ص: 475.

مؤلفا من الأبنوس والعاج والصندل فائق الصنعة، وغشي بصفائح الذهب ورصع بالجواهر والياقوت، واتخذ له أصونة الجلد المحكمة الصنعة، المرقوم أديمها بخطوط الذهب، ومن فوقها غلاف الحرير والديباغ وأغشية الكتان"⁷⁰.

والظاهر أن ابن مرزوق، هو من تولى مهمة الإشراف على إجراءات ضبط وتسفير الربعة التي كتبها أبو الحسن، ويستنبط ذلك من خلال حديثه عن الربعة التي كتبها نفس السلطان برسم المقام الخليلي، حيث يقول: "ثم شرع [السلطان] في نسخة برسم الخليل... ولم يبق منها إلا عدة أوراق وبقية تذهيب وضبط، وتقدمت بها من بجاية إلى تونس، وشرعت في جمع المسفرين لها، وتقدم معي أبو القاسم بن أبي طلاق، فجمعنا الناس لتكملة الضبط"⁷¹.

بعد سقوط الدولة المرينية سنة: 869هـ/1465م، استمر تعليم الخط المغربي وتعلّمه حيث سيصل ذلك نروته خلال العصر السعدي، وبخاصة في عهد أحمد المنصور الذهبي (986 - 1012هـ/1578 - 1603م)، الذي أسس ما يشبه مدرسة للخطاطين تابعة لجامع المواسين بمراكش⁷². ولا شك أن المنصور كان يهدف من وراء ذلك إلى اختيار نخبة من الخطاطين المتمكنين لتلقين قواعد الخط والكتابة للطلبة، وفق قواعد محكمة على النحو الذي جرى عليه الأمر في المشرق، وهكذا يمكن القول أن هذا السلطان كان يروم بالأساس، محاكاة التجربة المشرقية في تدريس الخط بعية تطوير ملكة الكتابة وتجويد الحط عند المعاربة، حيث أوعز إلى خطاطي ديوانه بتحويله للسمو بصور حروفه وتراكيبه، حتى يبدو في مستوى الخطوط المشرقية التي كان المنصور معجبا بها، وقد أعطت تلك المبادرة نتائج هامة تمثلت في تزايد عدد الخطاطين الذين التحقوا - على ما يبدو - بتلك المدرسة التي كانت تحت إشراف الخطاط البارع: "عبد العزيز بن عبد الله السكتاني" (ولد سنة: 956هـ/1549م)، الذي قال عنه ابن القاضي في درة الحجال: "وهو المقدم لتعليم الخط بجامع الشرفاء من مراكش المحروسة، كما هي العادة بالقاهرة وغيرها من بلاد المشرق". وقال عنه أيضا: "... له خطوط متعددة، وله المشيخة على النساخين"⁷³. وبعبارة أخرى؛ كان السكتاني هو: "رئيس الكتاب" الفعلي المسؤول عن تعليم درس الخط بجامع المواسين بمراكش، سيما وأنه كان من الخطاطين القلائل الذين كانوا يكتبون بخطوط متعددة، إلى درجة نصّبه معها الخطاطون على

⁷⁰ - الناصري، الاستقصاء، ج/3، ص: 127

⁷¹ - ابن مرزوق، المستند، ص: 474

⁷² - المصوني، تاريخ الوراقة المغربية، ص: 75.

⁷³ - ابن القاضي (أبو العباس أحمد بن محمد المكناسي)، درة المجال في أسماء الرجال، تحقيق محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث، القاهرة، المكتبة العتيقة، تونس، د.ت، ج/3، ص 131

رأس المشيخة التي شكّلوها في علم الخط - على غرار باقي العلوم الشرعية - والتي كان مقرها بجامع قصر البديع بمراكش⁷⁴.

والأكيد أن جهود أحمد المنصور الذهبي شجعت الخطاطين، وحفزتهم على تطوير مهاراتهم، حتى نبع نتيجة ذلك خطاطون بارعون من بينهم السلطان أحمد المنصور نفسه⁷⁵، الذي عُرف عنه خلق عدة أنواع من الخطوط، وتذكر المصادر أنه كان يستعمل الثلث المشرقي بوجه خاص في مراسلة العلماء المشارقة. ودلّلنا في ذلك شهادة صاحب نزّهة الحادي التي أكد من خلالها أن المنصور: "تعلم الخط المشرقي، فكان يكتب به علماء المشرق كتابة كأحسن ما يوجد في خط المشارقة"⁷⁶. أما ابن القاضي فقد وصفه بعبارة وجيزة نصّها مايلي: "معدود في العلماء بارع الخط"⁷⁷.

ولتزكية الدليل السابق، نسوق دليلاً آخر يؤكد اهتمام المنصور بالخطوط المشرقية، استنبطناه من خلال شهادة لابن القاضي، يذكر أن بعض طلبة مراكش حدّثه بها في يوم الأحد لأربع خلون من رجب سنة: 995هـ (10 يونيو 1587م). يقول ابن القاضي في كتابه: المنتقى المقصور: "ولقد علّى [المنصور الذهبي] أيده الله، حسن الخط وظفر به بأنواعه المشرقية والمغربية، فقد حكى أنه ذات يوم استدعى كاتبه أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عيسى [السوسي] بخط مشرقي كتاباً، فبعث إليه صحبة هذين البيتين⁷⁸ :

سقتني كأس السرور دهاقاً خطوط أنتني في مهرق
رأت كف أحمد في الغرب بحراً فجاءت إليه من المشرق

ولا شك أن خلق المنصور الذهبي للخطوط المغربية وافتتاحه أيضاً على الخطوط المشرقية، هو أمر ليس بالجديد على المغاربة، بدليل أننا وقفنا أنفاً على أسماء مجموعة من الخطاطين المغاربة والأندلسيين الذين كانوا يجيدون الكتابة بالطريقتين المغربية والمشرقية خلال عصر الدولتين: المرابطية والموحدية، بل ونضيف إلى ذلك؛ إعجاب هؤلاء الخطاطين بـ: "الخط المنسوب" الذي أبدعه ابن مقلّة (272 - 328هـ/886 - 939م)، وينسب لأبي عبيد البكري تارة، ولأبي مروان بن سراج تارة أخرى هذا البيت المشهور⁷⁹ :

⁷⁴ - الموسوي، تاريخ الوراقة المغربية، ص: 75 - 76

⁷⁵ - أورد الموسوي لائحة مطولة بأسماء الذين تبعوا في مجال الخط خلال تلك الفترة. انظر أسماءهم في كتابه: تاريخ الوراقة

المغربية، ص 76 وما بعدها

⁷⁶ - البهرني، برقة الحادي، ص: 119

⁷⁷ - ابن القاضي (أبو العباس أحمد بن محمد المكاسي)، جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام بمدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1973م، ص: 115.

⁷⁸ - ابن القاضي (أبو العباس أحمد بن محمد المكاسي)، المنتقى المقصور على مآثر الحليفة المصور، دراسة وتحقيق: محمد رزوق، مكتبة المعارف، الرباط، 1986م، ج1، ص 465.

⁷⁹ - ابن خاقان (الفتح بن أحمد بن غرطوج)، قلاند العقيل، طبعة: مصر، 1866م، ص: 190

خط ابن مقلة من أراءه مقلته ودّت جوارحه لو أصبحت مقلا
فالدرّ يصفر لاستحسانه حسدا والورد يحمرّ من إبداعه خجلا

ويقول ابن قزمان صاحب الموشحات - وهو من عصر المرابطين⁸⁰ :

وعهدي بالشباب، وحسن قدي حكى ألف ابن مقلة في الكتاب
فصرت اليوم منحنيّاً كآتي أفنّس في التراب على شباي

وقد كان خط ابن مقلة معروفا لدى الخطاطين في الغرب الإسلامي. حتى أن أحد أعلام العصر الموحدوي وهو ابن خليل السكوني قال عنه في فهرسته: "شاهدت بجامع العديس بشبيلية أربعة مصحف في أسفار ينحى به لنحو خطوط الكوفة، إلا أنه أحسن خطأ وأبينه وأبرعه وأتقنه، فقال لي الشيخ الأستاذ أبو الحسن ابن الطفيل بن عزيمة: هذا خط ابن مقلة.. ثم قسنا حروفه بالضابط، فوجدنا أنواعها تتماثل في القدر والوضع، فالألفات على قدر واحد، واللامات كذلك، والكافات والواوات وغيرها بهذه النسبة"⁸¹.

ومن خلال استقراننا لهذا النص؛ يتضح للعيان أن الأندلسيين والمغاربة كان لهم جهاز خاص لقياس الحروف يسمونه: "الضابط"، وهذا إن دل على شيء؛ فإنما يدل على أن ذلك يعد من القرائن الصحيحة والصريحة التي تؤكد أنهم كانوا يكتبون خطوطهم وفق مقاييس معلومة، وضعوا هندستها بشكل يتقارب أو يتباعد مع القياسات المشرقية التي تعتمد على عدد النقاط التي يشغلها كل حرف، صعودا ونزولا، أفرادا وتركيبا، لكننا لحد الآن لا نزال نهمل طبيعة أداة القياس التي وردت في النص المذكور، إلا أننا - في الوقت ذاته - نستطيع التعرف على بعض ملامح وصفات الحروف التي تم تحديدها من خلال الاستناد في قياسها على ذلك الجهاز أو ما يشبهه، بدليل أننا عثرنا على نص يرجع إلى عصر الدولة المرينية يشير فيه صاحبه - وهو ابن سمالك العاملي - إلى بعض صفات حروف الخط المغربي تجريدا وتجسيذا، حيث أكد على أنه: "ينبغي للكاتب أن.. يتعلم الخط ويحكم أشكاله حتى يقوم على تمثيله وتصويره، ويبلغ في إحكام ترتيبه وتقديره. وصوره لها أشكال وحدود، وحروفه ترسم على اختلاف صفات واستواء قدود، مثل استواء الألف واللامات، وقدود أطراف الأواخر من الكافات، وتدوير رؤوس القافات والواوات، ومقدار أضوانها [يقصد ثغراتها الفاعرة] من الميمات، فمنها ما يكون ضوءه على دور خردلة، ومنه ما يكون ضوءه على دور قفلة، وأما معرفة السين وحد قياسها بأن توضع بتدرج الثلاثة من أضراسها، والهاء أحسن أنواعها ما كان على صفة ميم بطرف، فهو الذي استحسنة أهل الظرف، ومنها الهاء التي هي من النصف مشققة، والحاء

⁸⁰ - المقرئ، نفح الطيب، ج/4، ص 23 - 24

⁸¹ - نقلا عن نفس المصدر، ج/4، ص: 304

التي أصلها أن تكون داخل النون أو خارجه معرفة، والنون حدها أن تكون كنصف دائرة، واللام والالف التي أصلها أن تكون متطايرة، وحكم الفخذين منها الاستواء كفخذي الحلم، وشق الصاد والضاد بعرض القلم، ورد الياء من اليسار إلى اليمين بحرفها، وتعريف النون بإسراعها وخطفها، وتحكيم أنواع الصاد من الملون والمبسوط، والمدور والممطوط⁸².

وبالرجوع مرة أخرى إلى الخط المنسوب الذي كان المغاربة معجبين به منذ ما قبل العصر المرابطي، تشير إلى أن هذا الخط هو نفسه الذي انتهى أمره إلى مصر زمن ابن خلدون المعاصر للمرينيين، حيث يقول في ذلك: "يحكى لنا عن مصر لهذا العهد [المرحلة التي توافق عصر الدولة المرينية].. أن بها معلمين منتصبين لتعليم الخط، يلقون على المتعلم قرانين وأحكاما في وضع كل حرف، ويزيدون إلى ذلك المباشرة بتعليم وضعه، فتعتضد لديه رتبة العلم والحس في التعليم، وتأتي ملكته على أتم الوجوه"⁸³. ويقول في موضع آخر: "بها [مصر] معلمون يرسمون لتعليم الحروف بقوانين في وضعها وأشكالها متعارفة بينهم، فلا يلبث المتعلم أن يحكم أشكال تلك الحروف على تلك الأوضاع، وقد لفتها حسنا وحذق فيها دربة وكتابا، وأخذها قوانين علمية فتجيء أحسن ما يكون"⁸⁴.

وليؤكد أن الخط المنسوب الذي أبدعه ابن مقلة قد انتهى أمره فعلا إلى مصر، علق ابن خلدون قائلا: "...وخالفت أوضاع الخط ببغداد أوضاعه بالكوفة في الميل إلى إجادة الرسوم وجمال الزونق وحسن الرواء، واستحكمت هذه المخالفة في الأمصار إلى أن رفع رايته ببغداد عليّ بن مقلة الوزير، ثم تلاه في ذلك عليّ بن هلال، الكاتب لشهير بابن البواب.. [ثم] ياقوت والوليّ عليّ العجمي، ووقف سند تعليم الخط عليهم وانتقل ذلك إلى مصر، وخالفت طريقة العراق بعض الشيء"⁸⁵.

وقد أشار ابن خلدون أيضا - من باب المقارنة - إلى أن الخط قد تراجع في المغرب خلال نفس المرحلة تقريبا، وخاصة في المراحل النهائية للدولة الموحدية، حيث يقول: "حتى إذا تقلص ظل الدولة الموحدية بعض الشيء، وتراجع أمر الحضارة والترفع بتراجع العمران، نقص حينئذ حال الخط وفسدت رسومه، وجعل فيه وجه التعليم بفساد الحضارة وتناقص العمران"⁸⁶.

⁸² - العاملي، ربيع التحبير، ص. 49 - 50.

⁸³ ابن خلدون، المقدمة، ص. 524

⁸⁴ - نفس المصدر، ص. 528

⁸⁵ - نفس المصدر، ص. 527 - 528

⁸⁶ - نفس المصدر، ص. 529

لكن وبعد قيام الدولة المرينية: "حصل في دولة بني مرين من بعد ذلك بالمغرب الأقصى لون من الخط الأندلسي، لقرب جوارهم وسقوط من خرج منهم إلى فاس قريبا، واستعمالهم إياهم سائر الدولة، ونسي عهد الخط فيما بعد عن سدة الملك وداره كأنه لم يعرف، فصارت الخطوط بإفريقية والمغربيين [تونس والجزائر والمغرب] مائلة إلى الرداءة، بعيدة عن الجودة، وصارت الكتب إذا انتسخت فلا فائدة تحصل لمتصفحها منها إلا العناء والمشقة لكثرة ما يقع فيها من الفساد والتصحيف، وتغيير الأشكال الخطية عن الجودة حتى لا تكاد تقرأ إلا بعد عسر"⁸⁷.

ويبقى استعمال كلمة: "لون" من طرف ابن خلدون في تحديد ملامح الخط المغربي، إشارة صريحة إلى التنوع الشديد الذي عرفه هذا الخط خلال العصر المريني، إذ أن ابن خلدون وبالرغم من كونه شاهدا على هذا العصر، إلا أنه لم يستطع تحديد أصناف الخط المغربي المتداولة آنذاك، فضل استعمال كلمة: "لون" ليحيلنا ضمنا على وجود ألوان أخرى للخط المغربي، يصعب تحديد ملامحها وصور حروفها تحديدا أكاديميا، الشيء الذي دفعه إلى وصفها بالردنية. وحتى إن تبينا تفسير الفقيه المنوني لكلمة: "لون" على أن المقصود بها: "الخط المغربي"⁸⁸، أو "الخط الأندلسي المتمغرب" كما يسميه ابن خلدون نفسه⁸⁹. يظل المشكل قائما؛ بالنظر إلى أنواع الخط المغربي المعبرة، التي تتنوع بدورها حسب كل خطاط أو حسب الأقاليم الممتلئة للمغرب المريني.

وفي محاولة لإيجاد تفسير لهذا التنوع الشديد للخطوط المغربية، ذهب الدكتور محمد المغراوي إلى أن ذلك يعزى إلى اعتماد المغاربة - في كتابة خطوطهم - على ملكاتهم الفنية واجتهاداتهم الخاصة دون التقيد بقواعد معلومة معينة كما هو الشأن في المشرق - وخاصة في مصر- التي تحدث عنها ابن خلدون في تلك المرحلة. ولتعزيز رأيه، استدل نفس الباحث بأنماط خط الثلث المغربي وصوره المتنوعة وتراكيبه الفريدة.⁹⁰

من خلال النصوص السابقة، يظهر أن ابن خلدون قد ذهب مذهبا شططا لكونه - حسب ما يبدو - قد خلط بين الخطوط الرسمية التي كانت تستعمل في تدوين دواوين الدولة، وكتابة الرسائل السلطانية وغيرها.. والخطوط الاعتيادية التي كانت تستعمل في تقييدات الطلاب العلمية وتعليقاتهم ومنتساخاتهم الشخصية خلال العصر المريني، حيث يؤكد ذلك بنفسه حين

⁸⁷ ابن خلدون، المقدمة، ص 529

⁸⁸ - المنوني، تاريخ الوراقة المغربية، ص 45

⁸⁹ - ابن خلدون، المقدمة، ص 529

⁹⁰ - المغراوي (محمد)، الخط المغربي عند ابن خلدون، مجلة حروف عربية، العدد الرابع، السنة الأولى، 2001م، ص 10.

يقول: "ولقد ذهبت هذه الرسوم [صور الحروف] لهذا العهد [عصر الدولة المرينية] جملة بالمغرب وأهله، لانتطاع صناعة الخط والضبط والرواية منه بانتقاص عمرانه وبدعوة أهلها، وصارت الأمهات والدواوين تنسخ بالخطوط اليدوية، تتسخها طلبة البربر صحائف مستعجمة برداءة الخط وكثرة الفساد والتصحيف، فتستقلق على متصفحها ولا يحصل منها فائدة إلا في الأقل النادر"⁹¹.

ولمعرفة ما إذا كان رأي ابن خلدون دقيقاً أم لا، أكد محمد المغراوي على وجوب إقامة الدليل على صحة الأحكام التي أصدرها وذلك "بالوقوف على نماذج خطية متنوعة.. وتحليلها ومقارنتها، لتعرف أسباب ومظاهر التحول، والوقوف أيضاً على نتائج تلافح الخطوط في المغرب الإسلامي من الفتح الإسلامي إلى حدود القرنين الثامن والتاسع الهجريين، [لأنه] من التعصب الاستسلام للحكم العام الذي أصدره ابن خلدون برداءة الخط المغربي وتدهوره بعد عصر الموحدين"⁹².

لكن على الرغم من ذلك فإن المغراوي يرى أن كلام ابن خلدون فيه جانب من الصحة، إذ أن أحكامه تلك "تنطبق بالخصوص فيما بعد العصر الموحدي على الكتابة على المسكوكات التي بدأت خطوطها تميل إلى الرداءة بشكل واضح، سواء بالمغرب أو بالأندلس"⁹³.

وحسب تقديري الخاص، تعد المرحلة التي أرخ لها ابن خلدون فترة الأزمات المتلاحقة والأحداث المتسارعة، لأنها صادفت بداية أفول النفوذ الإسلامي في المشرق، بعد سقوط الدولة العباسية على يد التتار و المغول سنة: 656هـ/1258م، وانحسار الوجود الإسلامي في الأندلس، في إمارة بني الأحمر التي ستسقط بعد وفاة ابن خلدون بقرابة: 89 سنة، أي في سنة: 897هـ/1492م، وعليه، يمكن القول أن ما كان يجري - في تلك المرحلة - على الخط المغربي من فساد الرسوم ورداءة الصور، كان يجري أيضاً على الخط المشرقي الذي استعمل في مصر بعد انتقال أسرار المدرسة البغدادية إليها، ودليلنا في ذلك؛ الحكم الذي أصدره ابن خلدون حول هذا الخط، من خلال ملاحظاته العينية التي سجلها إثر انتقاله من المغرب إلى مصر، حيث وقف على وجه المقارنة بين الخطين: المغربي والمشرقي، وأثبت ذلك بقوله: "وأما النسخ بمصر ففسد كما فسد بالمغرب وأشد"⁹⁴.

⁹¹ - ابن خلدون، المقدمة، ص: 533.

⁹² - محمد لمغراوي، الخط المغربي عند ابن خلدون، ص: 10.

⁹³ - نفس المقال والصيغة

⁹⁴ - ابن خلدون، المقدمة، ص: 534.

عن أمانة الوراقة في مصر والغرب الإسلامي، انظر: محمد المغراوي، الخط المغربي عند ابن خلدون، ص: 11.

بناء على الحثيات السابقة، يمكن القول أن هذا التعدد في الأصناف والأساليب قد أدى إلى عدم احترام نسب فنية مدروسة في الخط المغربي، مما ترتب عنه تنوع شديد في صور الحروف ورسومها، فصفاة واحدة من مخطوط مغربي عادة ما تكتنف بين سطورها أحرفا مختلفة من حيث صورها الخطية، ومتباينة من حيث أنماط تأليفها ونسق تركيبها، الشيء الذي طرح عدة إشكالات تتعلق بتصنيف الخطوط والتمييز بين أنواعها.

وفي هذا المضمار يشير أحد أعلام العصر المريني وهو ابن الحاج العبدري الفاسي، إلى صور الكتابة والاختلاف الذي قد يعتريها في نفس الصفاة بسبب أحوال الخطاط أو الناسخ الذي يضطر إلى الانقطاع عن الكتابة بين الفينة والأخرى. يقول ابن الحاج: "ويؤكد في حقه [الناسخ] أنه إذا سمع الأذان أن يترك ما هو فيه ويشغل بحكاية المؤذن، والتهيو لإيقاع الصلاة في وقتها المختار في جماعة، اللهم إلا أن يكون الأذان وهو يكتب في أثناء الورقة، فلا يترك الكتابة حتى يكملها، لأنه يختلف خط الورقة بسبب قيامه عنها فيمهل حتى يتمها"⁹⁵.

من هنا نؤكد على أن رصد الاختلافات بين صور الحروف والارتكاز عليها من أجل وضع تصنيف لأنواع الخطوط، أمر ليس باليسير فعلة، فالتنوع مسألة تكاد تكون طبيعية وبديهية في الخطوط المغربية اللينة على وجه التحديد، وذلك راجع إلى كون الخطاط المغربي لم يلزم نفسه في كتابة حطه ورسم صور حروفه وفق نسب معينة - تحدد إسقاطاتها بعدد النقط - كما كان عليه الأمر في المشرق، بل أنجز أعماله تبعا لحسه الفني وملكانته الإداعية.

ومما يزيد من تعقيد مهمة التصنيف، قيام الخطاط المغربي أحيانا بإدماج أكثر من نوع من الخطوط في نسخ المخطوطات، إذ توجد بعض المخطوطات المغربية التي بسخت بخطوط مختلفة، تجمع بين الدقيق والثخين، كما تجمع بين اليباس واللين، بل وتجمع بين ملامح خطين مختلفين قد ينتسبان أو لا ينتسبان إلى أحد الخطوط المغربية المعتبرة؛ التي اتفق الدارسون على تسميتها وتقسيمها إلى خمسة أنواع اجتهدا⁹⁶، وهي: الكوفي المغربي وأنواعه، المبسوط (انحل

⁹⁵ - ابن الحاج العبدري (أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد الفاسي)، "المنخل إلى تنمية الأعمال بتحسين الديان، والتنبيه على بعض اليباع والعوائد التي انتقلت وبيان شاعتها وقبحها"، مكتبة دار التراث، القاهرة، د.ت، ح/4، ص 85.

⁹⁶ - حصر المبرني أصناف الحط المغربي في 5 أنواع هي: المبسوط والمجهر والممنوع أو الزمامي والمشرقي المتمغرب (وهو الثالث المغربي) والكوفي. انظر: تاريخ الورقة المغربية، ص 13 - 14. وأسقط سكيكح صفا من هذه الأصناف، هو الخط الممنوع انظر سكيكح، مقال سابق، ص 322. وقد تبع عمر أفا المبرني في نفس التقسيم انظر: أفا (عمر)، لمحة عن حركة فن الحط في المغرب، مجلة دعوة الحق، عدد 377، السنة 45، 2004م، ص 21 - 22 بينما ارتأى محمد المبراني أن يصنف نوعا سماه بـ "الخط المدمج"، لكنه لم يختاره صفا قائما بذاته، ولكن اعتبره كحط ملحق بجمع - حسب رايه - بين مؤثرات صفيين أو أكثر من أصناف الحط المغربي التي حددها المبرني انظر: المبراني (محمد)، أصول وتطور الحط المغربي، مقال مرقون، ص: 9 - 10.

انظر أيضا: أفا (عمر) و المبراني (محمد)، "الحط المغربي، تاريخ وواقع"، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2007م، ص 64 - 65.

فيه الخط الأندلسي)، الخط الشرقي المتمغرب (الثلاث المغربي)، المجوهر (انبثق من المبسوط)، الزمامي (ويسمى: المسند أو خط العدول في التسمية الشعبية).

يضاف إلى ما سبق ذكره أن الدارسين الذين وضعوا تصنيفات للخط المغربي، لم يقدموا بيانات مفصلة عن الخصوصيات التي تطبع كل صنف على حدة⁹⁷، وإنما ركزوا اهتماماتهم غالباً على ذكر مجال استخدام هذا الصنف أو ذلك من الخطوط (في كتابة المصاحف أو الكتابات السلطانية أو الوثائق العدلية أو عناوين الكتب...)، وعلى تبيان نوع المداد والألوان المعتمدة، علاوة على بعض التعريفات الفضفاضة، فأغلب الباحثين وإن كانوا يقرّون بوجود أصناف للخط المغربي، فإنهم لا يذكرون - في الغالب الأعم - الاختلافات والحدود الفاصلة فيما بينها⁹⁸، وهذا يحول دون الإدراك الدقيق للأصناف، ويجعل التمييز بينها من حيث الصور أمراً بالغ الصعوبة⁹⁹.

لهذا يتوجب علينا القيام بتصنيف لمختلف أنواع الخطوط المغربية، كما يتحتم علينا أيضاً التمييز بين الأشكال المعتنى بها من الآثار المخطوطة، وبين ما كتب على عجل كالمراسلات اليومية، والكتابات الاعتيادية التي تستعمل في التقديدات والتعليقات العلمية، والتي غالباً ما كان يصحبها جهل الناسخ بأصول علم الكتابة، حيث كان يطلق العنان لهوى نفسه في رسم صور الحروف؛ حسب ما تمليه عليه سجيته دون أن يتقيد - في بعض الأحيان - حتى بالقواعد الإملائية للخط، بل أن يتقيد بالقواعد الجمالية والتحسينية في رسم صور الحروف، حتى إنه ليتحتم على من يدرس تلك النماذج، القيام بفك رموزها الملوغزة.

وحتى لو سلمنا جدلاً بأن الخط المغربي يقسم إلى خمسة أصناف كما سبق وأشرنا إلى ذلك، فإننا نضطرم بوجود أصناف تاريخية ظلت مستقلة شخصيتها إلى عهود متأخرة، كما هو الشأن بالنسبة للخط الأندلسي اللين، الذي بدأ ينحل في الخط المبسوط القديم - بشكل واضح - منذ عصر الدولة المرينية، ليندمج معه نهائياً بعد سقوط الأندلس سنة: 897هـ/1492م، ذلك الاندماج الذي كان وليد الهجرة الجماعية للأندلسيين نحو المغرب، وما صاحبها من اندماج شمولي، ليس على المستوى البشري فحسب، بل حتى على المستوى الثقافي والفني.. لكن على الرغم من ذلك، نلاحظ أن الخط الأندلسي بقيت له شخصية مستقلة عن المبسوط، رغم انحلاله في هذا الأخير، بدليل أن استعماله بقي بقيد الوجود حتى غاية العصر العلوي، كما يلاحظ ذلك

⁹⁷ المتوسي، تاريخ الوراقة المغربية، ص: 47.

⁹⁸ - سكرج نقلا عن المتوسي، تاريخ الوراقة المغربية، ص 322.

⁹⁹ - عوني (موسى الحاج)، فن المخطوطات الكتابية في الغرب الإسلامي، مؤسسة الملك عبد العزيز، الدار البيضاء، منشورات عكاظ، 2010م، ص 532.

من خلال مصحف مغربي كتب برسم خزانة السلطان العلوي: عبد الله بن إسماعيل سنة: 1142هـ/1729م (انظر شكل: 33 في الملحق)¹⁰⁰، لكن حضوره لم يكن كصنف مستقل بذاته، وإنما كلون مستعمل إلى جانب المبسوط سيما وأنه ظل مرجعاً معتمداً في المغرب الأقصى، وخاصة في مدينة فاس التي استقر فيها وتفرع، بعدما تقبله أهلها فحافظوا عليه وطوروه، ثم أضفوا عليه رونقا جديدا من خلال تجربتهم الفنية¹⁰¹.

بالإضافة إلى ما قلناه؛ نصطدم أيضا بإشكالية تسمية بعض الخطوط المغربية ومدى صحتها أو عدم صحتها من منظور تاريخي. فإن فرضنا أن بعض التسميات صحيحة كما هو الشأن بالنسبة للخط "المبسوط" الذي ذكره ابن سماء العاملي¹⁰²، فإن بعضها الآخر يطرح إشكالا تاريخيا وفنيا، وعلى رأسها على سبيل المثال لا الحصر؛ "الثلاث المغربي" الذي نعتة سكيرج بـ: "الخط المشرقي"¹⁰³. وسماه المنوني تارة: "الخط المشرقي"، وتارة: "الخط المشرقي المتمغرب"¹⁰⁴. وسماه قبلهما الفريد بيل بنعوت أخرى¹⁰⁵. وعزا بعض الباحثين تسميتهم له بخط "الثلاث المغربي" لاعتبارين اثنين، أولهما: إن لفظة: "المشرقي" توحى إلى أن هذا الخط هو الوحيد الذي وفد من المشرق، بينما أصل كل الخطوط العربية المغربية هو المشرق الإسلامي، ولهذا ليس هناك سببا لتخصيصه بهذا النعت دون غيره من الخطوط. ثانيهما: إن تسميته بالثلاث المغربي يدل على أنه يتميز عن الثلاث المشرقي¹⁰⁶.

وحسب تقديري الخاص، فإن ما يسمى الآن بخط الثلاث المغربي كان يشابه خط الثلاث المشرقي المرامن له آنذ، لكن الفرق بينهما، هو أن خط الثلاث المشرقي قد تطور إلى أن وصل إلى ما وصل إليه من الإجابة والتجويد خلال عصر الدولة العثمانية، بسبب طول أمد هذه الدولة وشساعة رفعتها الجغرافية التي أهلتها للاستفادة من تجارب سائر الحضارات المنضوية تحت لوائها، أما خط الثلاث في المغرب فلم يتطور بنفس الوتيرة، وذلك بسبب قصر أعمار الدول التي

¹⁰⁰ - قما بدراسة هذا المصنف دراسة تاريخية - فنية في أطروحتي لنيل الدكتوراه راجع محمد عبد الحفيظ حبطة، مرجع سابق، ص 100.

¹⁰¹ - للوقوف على ذلك راجع في أطروحتي لنيل الدكتوراه مصحفا مغربيا كتب برسم حراة السلطان العلوي: عبد الله بن إسماعيل سنة: 1142هـ/1729م. محمد عبد الحفيظ حبطة، مرجع سابق، ص 100

¹⁰² - العاملي، رونق استحيير، ص: 48

¹⁰³ - سكيرج، الخط العربي المغربي، صص 67 - 72، نقلا عن المصوني، تاريخ الوراقة المغربية، ص: 322.

¹⁰⁴ - المصوني، تاريخ الوراقة المغربية، ص: 47 و 15

¹⁰⁵ - عوي، فن المقوشات الكتابية في العرب الإسلامي، ص: 537.

¹⁰⁶ - نفس المرجع والصفحة

عن الثلاث المغربي، انظر:

أفا والمراوي، "الخط المغربي، تاريخ وواقع"، ص: 58 - 59

انظر ذلك أيضا بتفصيل في أطروحتي

حبطة، مرجع سابق، ص 812 - 813

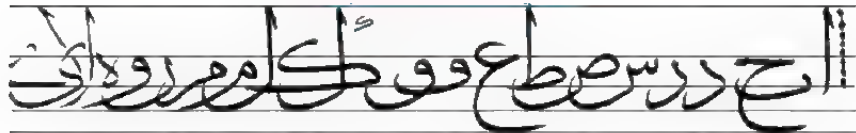
تعاقت على حكم بلاد المغرب من جهة، وانغلاق المغرب على نفسه - إلى حد ما - بعد سقوط الأندلس، مقابل دخول سائر الأقطار الإسلامية تحت طاعة العثمانيين من جهة أخرى. إضافة إلى ذلك يعتبر الثلث المغربي؛ من الخطوط التي تأثرت بلامح كثير من الخطوط الشرقية، حيث يجمع بين سمات خط الثلث الشرقي وخط التوقيع والخط المسلسل المنفرع عنهما، وباقي الخطوط الشرقية التي اندمجت في بعضها لتتسجم وتتلاءم مع المؤثرات الإقليمية المغربية، وبالتالي الانصهار في بوتقة واحدة وفق نمط جعل من خط الثلث يكتسي صبغة مغربية، دون الانفصال عن أصله الذي يمتد ويستمد من المشرق

بناء على كل ما ذكرناه، أثّرنا أن نركز على الخط المبسوط تسمية ووظيفة، باعتباره مدخلا لدراسة الخطوط المغربية اللينة، وبالطبع، لم يكن هذا المنطلق من فراغ بقدر ما ارتكز على شواهد مادية - تاريخية، تحيلنا على كون النماذج المرينية والسعيدية التي اخترناها في بحث أكاديمي معمق لدراسة الخط المغربي، تكاد تكون كلها منسوخة بالخط المبسوط¹⁰⁷. وذلك راجع لكونه خط تحريري نسخي - من باب حقيقة وظيفته، وليس من باب تسميته التاريخية الفنية - حيث كان يستعمل في نسخ المصاحف دون غيره من الخطوط، كما كانت تنسخ به بعض المدونات العلمية إلى جانب الخط المجوهر، شأنه في ذلك، شأن خط النسخ أو المحقق الشرقيين فيما يتعلق بمجالات استعمالهما، وقد حاولنا تجميع الصور المفردة لهذا الخط من خلال الاعتماد على أحد المصاحف المرينية التي درسناها، ألا وهو: مصحف مريني كتب بماء الذهب في عهد أبي يعقوب يوسف المريني (685 - 706 هـ / 1286 - 1307 م). (انظر شكل: 26 في الملحق)¹⁰⁸، حيث اتخذنا صورته كنموذج مثالي لتحديد المنازل الطبيعية للحرف المغربي، من خلال المستويات الوهمية الثلاث: المستوى الأفقي العلوي (السماء)، المستوى الأفقي الوسطي - القاعدي (الكرسي)، والمستوى الأفقي السفلي (الأرض). وهذه المستويات هي الأسطر التي تحدد أبعاد الكتابة. وبهذا نكون قد اعتمدنا على الخط المبسوط كنموذج لتحديد تلك المنازل، لكونه الأكثر استعمالا في نسخ المصاحف، بخلاف خط الثلث الذي كان يستعمل غالبا في الكتابات المعمارية الجليلة (انظر الشكل التالي):

¹⁰⁷ - انظر: محمد عبد الحفيظ حطة، مرجع سابق، الجرايين الأول والثاني
¹⁰⁸ - قما بدراسة هذا المصنف دراسة تاريخية - هبة في أطروحتة لنيل الدكتوراه راجع محمد عبد الحفيظ حطة، مرجع سابق، صص: 187 - 194



منازل الحروف في الخط المغربي، "الخط المبسوط أنموذجاً" (الحروف مستخرجة من مصحف مريني كتب بماء الذهب سنة: 700هـ/1300م. في عهد أبي يعقوب يوسف المريني)
مقارنته بالخط المشرقي:



منازل الحروف في الخط المشرقي، "خط الثلث أنموذجاً"

من خلال هذه المقارنة، يتضح أن الحروف لها أفلاك ومنازل كمنازل الكواكب والأجرام، لا ينبغي أن تنحرف عنها، وإلا بدت غير متوازنة، ويتضح أيضاً أن السطر هو الأساس الذي تركز عليه الحروف والكشائد التي تربط بينها بانتظام، ويشير الرفاعي إلى أن "أول ما يحتاج إليه الكاتب في الكتابة.. هي السطور وهي محل الكتابة"¹⁰⁹.

والسطر هو خط مستقيم يربط بين نقطتين وهميتين، يشكلهما الامتداد العرضي للصفحة المكتوبة. والسطر أيضاً هو أهم العناصر التي تمنح الكتابة بناءً هندسياً منتظماً كما ينص على ذلك الرفاعي في أرجوزته، إذ يؤكد على ضرورة وضوح سطر الكتابة، حتى يتمكن الخطاط من محاكاته أثناء رسمه لصور الحروف في اتساق وانتظام كعقد اللؤلؤ.

يقول الرفاعي¹¹⁰:

السطر في اصطلاحهم خط وصل	ما بين نقطتين عن ذاك حصل
وكونه خطاً رقيقاً صافياً	مستحسن ولا يكون خافياً
بحيث يرشد البنان لالتزام	تلك الحروف في اتساق وانتظام
كسلك عقد من لئالي الدر	في جيد ¹¹¹ لبيات ذوات الخدر

وقد أشار أحمد البلغيثي إلى أن السطور ينبغي أن تكون "متساوية، أي: ليس بعضها أطول من بعض"¹¹². وذلك لأن أهميتها تتجاوز المفهوم الوظيفي المجرد؛ حيث تستوعب

¹⁰⁹ - الرفاعي، حلية الكتاب، ص: 28.

¹¹⁰ - الرفاعي (أبو العباس أحمد بن محمد الصطالي)، نظم لألئ السمط في حس تقويم يدعي الخط، تحقيق: هلال ناجي، مجلة المورد، العدد الرابع، المجلد الخامس عشر، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1986م، ص: 176.

¹¹¹ - جيد لبيات ذوات الخدر أعني النساء.

¹¹² - ابليغيتي (أحمد بن المأمون)، الانتهاج بنور السراج، شرح منظومة: "سراج طالب العلوم" للعربي بن عبد الله المستطاري، مطبعة محمد اللندي مصطفى (المطبع المصرية)، 1901م، ج1، ص: 247.

الحروف والكلمات وفق نسق منظم تحكمه ثلاثة قوانين، هي: "الفصل" و"الوصل" و"التركيب".

إضافة إلى الشرط السابق تكتسي السطور بُعداً فنياً جمالياً يتجلى في ضبط ارتفاعات الحروف وانحداراتها وامتداداتها وتعريفاتها. لذلك فإن سطراً واحداً لا يكفي، بل يستحسن وضع أسطر أخرى موازية للسطر القاعدي الذي تسنوي عليه الكتابة.

يقول الرفاعي في ذلك¹¹³ :

فإن أضفته وصار اثنين	فاجعلهم ——— إذا موازيين
وإن جمعت فكذلك والتزم	تساوي كلهم وعدل واحتم

وللحصول على اتساق الكتابة وانتظامها، لا بد من الالتزام أيضاً بثلاثة شروط أساسية، ذكر الرفاعي بعضها:

أولاً: **ضبط المسافات الفاصلة بين الحروف**: ويتم ذلك عن طريق مراعاة القدر الذي يضمن تنضيد الحروف وانتظامها، وهو ما يعرف: **بالنسق الاعتيادي**، الذي لا تتلاقص فيه الحروف، للحيلولة دون تشوهاها، ولا تتفكك للحيلولة دون تباعدها طردياً، لأن التصاقها أو تفككها سيؤدي إلى إحداث التزاحم والتداخل في الحروف والكلمات، وبالتالي إلى تداخل حركات الوقف والإعجام في النص المكتوب.

يقول الرفاعي في ذلك¹¹⁴ :

فإن كتبت فاجعل الحروفا	في وسط السطر ولا تحيفا
وسق ما بين الحروف في النظام	من غير زيد يبدو أو نقص يرام
سيان ما قد كان منها متصل	بغيره أو كان عنه منفصل

وقد أكد عبد العزيز الكرسيفي على هذا الأمر حين اشترط في المؤدب أن يعمل على تحسين خطوط طلبته وذلك "بتقويم الحروف وتجويها [عدم طمس عيونها]، وتقليظها وترك الفرج بينها، وجعل النقط والأشكال حذو حروفها، وتمييز مزدوجها ومفردها وغير ذلك"¹¹⁵.

¹¹³ - الرفاعي، نظم لألى السطر، ص 176

¹¹⁴ - نفس المصدر، ص 182.

¹¹⁵ - الكرسيفي (عمر بن عبد العزيز)، المؤلفات الفقهية الكاملة، جمع وتحقيق عمر آفا، مطبعة فصال، المحمدية، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، الطبعة الأولى 2006م، ص: 72

ثانياً: ضبط المسافات الفاصلة بين الكلمات: إن معالجة المجالات بين الكلمات في السطر المكتوب، هي غالباً ما تعتمد على فروق تتناسب مع حجم الحرف المكتوب و عرض القلم عند الكتابة.

يقول السنجاري في ذلك¹¹⁶ :

فحسن المدات في المفصل إذا أتاك مفرد من مجمل
وانظم الخط على التسطير من غير تعويج ولا تحبير

ثالثاً: ضبط المسافات الفاصلة بين الأسطر¹¹⁷ : ينبغي في هذا المضمار، ترك مسافة بين الأسطر بشكل يوفر عدم التداخل بين نهايات الحروف النازلة، مع نهايات الحروف الصاعدة من السطر الموالي، كما ينبغي أيضاً ضبط تباعدها عن بعضها بشكل لا يخل بعملية التنظيم المساحي، ومبدأ التناسب بين الكتلة الخطية والفراغ وقد اشترط البلغشي "أن يكون البياض الذي بين السطور متساوياً، فلا يكون ما بين بعضها أكثر مما بين الأخرى"¹¹⁸.

وذهب الصولي (المتوفى سنة: 335هـ/946م) إلى أن الحظ لا يكون جيداً إلا "إذا اعتدلت أقسامه، وطالت ألفه ولامه، واستقامت سطور، وضاهى صعوده حدوره، وتفتحت عيونه، ولم تشبه راؤه نونه، وأشرق قرطاسه، وأظلمت أنقاسه، ولم تختلف أجناسه، وأسرع إلى العيون نصوره، وإلى العقول ثمره، وقدرت فصوله واندمجت وصوله، وتناسب رفيقه وجليله"¹¹⁹. ثم أورد في مكان آخر أن "المختار من بري القلم أن تطيل السنين وتسمنهما، وتحرف القطة وتيمنها، وتفرق بين السطور، وتجمع بين الحروف منها"¹²⁰.

والملاحظ أن الخطاط المغربي لم يلتزم دائماً بهذا القانون، إذ وقفنا على بعض المصاحف المغربية التي لم تترك فيها المسافة اللازمة بين السطور، مما تسبب في تداخل بعض الزوائد والأحواض أفقياً وعمودياً، فتداخلت الأسطر تبعاً لذلك، كما نلاحظه - على سبيل المثال - من خلال مقطع، استخرجناه من مصحف نسخ بماء الذهب سنة: 700هـ/1300م في عهد أبي يعقوب يوسف بن يعقوب المريني (انظر شكل: 26 في الملحق)¹²¹:

¹¹⁶ - السنجاري (محمد بن الحسن)، بصاعة الموجد في الخط وأصوله، تحقيق: هلال باجي، مجلة المورد، العدد الرابع، المجلد الخامس عشر، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1986م، ص 254

¹¹⁷ - انظر تفصيل ذلك عند ديرويش (فرسوا)، المدخل إلى علم الكتاب المخطوط بالحرف العربي، ترجمة: أيمن فؤاد سيد، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن، 2005م، ص: 260 - 252

¹¹⁸ - انظر: البلغشي، مصدر سابق، ج/1، ص 247.

¹¹⁹ - الصولي (أبو بكر محمد بن يحيى)، أدب الكتاب، عني بتصحيحه: محمد بهجة الأثري، المكتبة السلفية، القاهرة، 1923م، ج/1، ص 50.

¹²⁰ - نفس المصدر، ج/1، ص 72

¹²¹ - راجع: محمد عبد الحفيظ خبطة، مرجع سابق، ص: 188

لحم البشري في وفي الآخر، لا والإله والإنسان

وتجدر الإشارة إلى أن هناك بعض الخطاطين الذين اشتطوا في توسيع المساحة الفاصلة بين الأسطر، مما تسبب في ظهورها متباعدة بشكل يتعارض مع مبدأ الاتساق والانتظام، كما نلاحظه من خلال مقطع مستخرج من مصحف مريني¹²² (انظر الشكل التالي):

ما لكم كبير فكمور
أم لكم كبيره تدور
أر لكم به لما تحزور

وحتى نكون أكثر دقة، نشير إلى أن بعض الخطاطين المغاربة أيضاً، لم يلتزموا دائماً بوضع الحروف في منازلها الطبيعية، ولتعزيز هذا الطرح، اقترحنا - على سبيل المثال لا الحصر - كلمة استخرجناها من مصحف أبي الحسن المريني (انظر شكل: 26 في الملحق)¹²³، ألا وهي كلمة: "لايفقهون"، التي يظهر من خلالها انزياح بعض الأحرف عن منازلها المعتبرة، ونخص بالذكر حرف النون الذي انخفض بشكل كبير عن المستوى القاعدي الذي تركز عليه سائر الحروف، مما جعل الكلمة تبدو بأكملها مختلة التوازن، بحيث يخيل إليك لأول وهلة، أنها مكتوبة على محور مائل متجه من اليمين إلى اليسار (النزول عن السطر). (انظر الشكل التالي):

«مستوى ارتفاع نوات السن
والمنزل الطبيعي
لحرف النون»
المستوى القاعدي الذي تركز عليه الحروف

المنزل الذي ارتفعه أبو الحسن المريني لحرف النون

كلمة مُسْقَطَة، مقتبسة من مصحف أبي الحسن المريني، يظهر من خلالها انزياح حرف النون عن منزلته الطبيعي الذي تقرضه عملية توزيع الحروف أثناء تركيب بعضها ببعض

¹²² - محمد عبد الحفيظ حبطة، مرجع سابق، ص: 584.

¹²³ - هذا المصنف الذي يعرف بـ "ربعة أبي الحسن المريني"، كتبه السلطان المريسي. أبو الحسن بيمبي، حيث انتهى منه في أواخر ذي الحجة من سنة: 1344/هـ 745م، وحُتِبَ على المسجد الأقصى بالقدس الشريف، وهو محفوظ به إلى الآن، تحت رقم م/ش/30.

راجع تفصيل ذلك من خلال دراستنا التاريخية والهدية لهذا المصنف في أطروحتنا لنيل الدكتوراه. محمد عبد الحفيظ حبطة، مرجع سبق، صص: 215 - 236

راجع أيضاً: عوني (الحاج موسى) و خبطة (محمد عبد الحفيظ)، مصنف السلطان أبي الحسن صلة وصل بين فاس والقدس الشريف نشر في كتاب: فاس: التاريخ، التراث والإشعاع لثقافي، تنسيق: سمير بورويطة والحاج موسى عوني، كلية الآداب والعلوم الإنسانية - سبيس، فاس، مطبعة الأفق، 2008م، صص: 5 - 28.

الفصل الثاني

قانون الإعجام والإهمال في الخط المغربي

لم يرفض المغاربة كل ما جاء إليهم من المشرق، فقد قبلوا ترتيب الحروف الهجائية مع اختلاف يسير، كما تبنا قانون الإعجام والإهمال الذي جاء من المشرق، إلا أنهم اختلفوا مع المشاركة في إعجام بعض الحروف (نقط الفاء بوحدة من أسقل، والقاف بوحدة من أعلى)، ومما يلاحظ أيضا في كتابة المغاربة؛ نقط حروف: الفاء والقاف والنون والياء في حالة التطرف (التركيب في آخر الكلمة) خلال القرون الهجرية الأولى، وقد علق ابن عبد الملك المراكشي على ذلك في كتابه: "الذيل والتكملة" بقوله معبرا عن تلك الأحرف بحرف النون الذي اشتقت منه أحواص تلك الأحرف: "[إن نقط النون المتطرفة] غلط جرى عليه جمهور الكتاب لأن النون المتطرفة لا وجه لنقطها، إذ هي متميزة بصورتها وإنما تنقُط مبتدأ بها ومتوسطة، وحالها في ذلك حال الفاء والقاف والياء المسفولة [الياء النونية]، فإتّهن إذا ما تطرفن تميزن بصورهن فاستغني عن نقطهن، إذ الداعي إلى النقط خوف الإلباس، فإذا ارتفع الإلباس كان الإعجام عبثا وكلفة لا جدوى [فيها]؛ والهلل إنما يشبه بالنون المتطرفة كما يشبه بالراء أول ليلة والله أعلم"¹²⁴.

ومسألة الإعجام هذه، من أبرز السمات التي تميز الخط المغربي عن الخط الشرقي، وخاصة فيما يتعلق بنقط الفاء والقاف، وقد أشار إليها أبو عمرو الداني (371 - 444هـ/981م - 1053م) في كتابه: "المحكم في نقط المصاحف"، حيث قال: "أهل المشرق ينقطون الفاء بوحدة من فوقها والقاف بأثنين من فوقها، وأهل المغرب ينقطون الفاء بوحدة من تحتها والقاف بوحدة من فوقها، وكلهم أراد الفرق بينهما بذلك"¹²⁵.

وفي تقييمه لهذه المسألة، رأى ابن شريفة أنه لا يمكن تحديد المرحلة التي ظهر فيها هذا الفرق بدقة، ثم ذهب إلى افتراض ظهوره قبل القرن الرابع الهجري، منطلقا في ذلك من مخطوط قيرواني كتب بالخط الكوفي في الثلث الأول من القرن الرابع للهجرة، يبدو من خلاله بوضوح نقط الفاء والقاف حسب الاستعمال المغربي¹²⁶.

والملاحظ أن "الفاء والقاف" يمتثلان - بدون إعجام من حيث الصورة - في معظم الحالات التركيبية، رغم كونهما يختلفان فيما بينهما في حالتَي الأفراد والتطرف (التركيب في

¹²⁴ - ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، ج/2، ص 130.

¹²⁵ - الداني (أبو عمرو عثمان بن سعيد)، المحكم في نقط المصاحف تحقيق: عزة حسر، دار الفكر، دمشق، الطبعة الثانية 1997م، ص 37.

¹²⁶ - بشريفة (محمد)، نظرة حول الخط الأندلسي، نشر في كتاب المخطوط العربي، وعلم المخطوطات، تنسيق: أحمد شوقي بيبس، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، مطبعة فصالة، المصمدي، الطبعة الأولى: 1994م، ص 75.

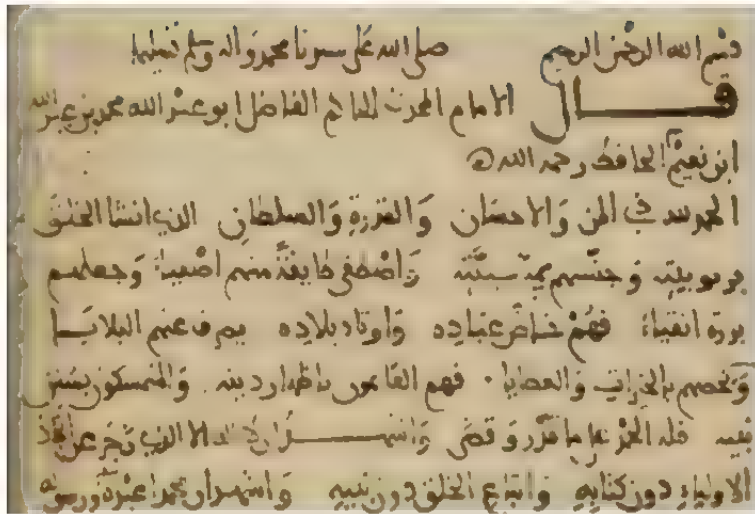
آخر الكلمة)، حيث تمتلك الفاء حوض الباء المستوي، بينما تمتلك القاف حوض النون المقعر، وهذه الصفة بديهية في الخطين: المشرقي والمغربى. يقول شعبان بن محمد الأثاري في ذلك¹²⁷:

والفاء بـاء رُوسَت، والقاف نون لها ترويسة تضاف والنون إن روستها برأس: "فا" تصوير كالقاف الذي قد ألفا

وعموما فقد خلت هذه الحروف وجردت فيما بعد من النقط في تلك الحالة، وما زالت صورتها على ذلك إلى اليوم.. كما أشار إلى ذلك الرفاعي عند حديثه عن الفاء والقاف، حيث قال¹²⁸:

والفاء مثل الميم أيضا جاءت قد وصلت بالسطر والقاف الوسط لكن لها ساق عليها قامت كذا وإن أخرتها دع النقط

ومن أغرب الأمور، أن نثر على مخطوطات مغربية، كتبت بخط مغربي من حيث صور الحروف، أما من حيث إعدامها فقد وافقت الطريقة المشرقية، كما هو الشأن - على سبيل المثال - بالنسبة لنسخة محفوظة (بجامعة: برنستون تحت رقم: 1319). من كتاب: "كشف الظنون" لمحمد بن عبد الله الحافظ النيسابوري، ونسوق فيما يلي؛ مقطعاً من الصفحة الأولى للنسخة المذكورة للوقوف على ما قلناه (انظر شكل: 2).



مقطع من إحدى صفحات كتاب: "كشف الظنون" لمحمد بن عبد الله الحافظ النيسابوري، نسخها ابن الشيخ الأكبر بخط مجوهر أعجمت حروفه على الطريقة المشرقية

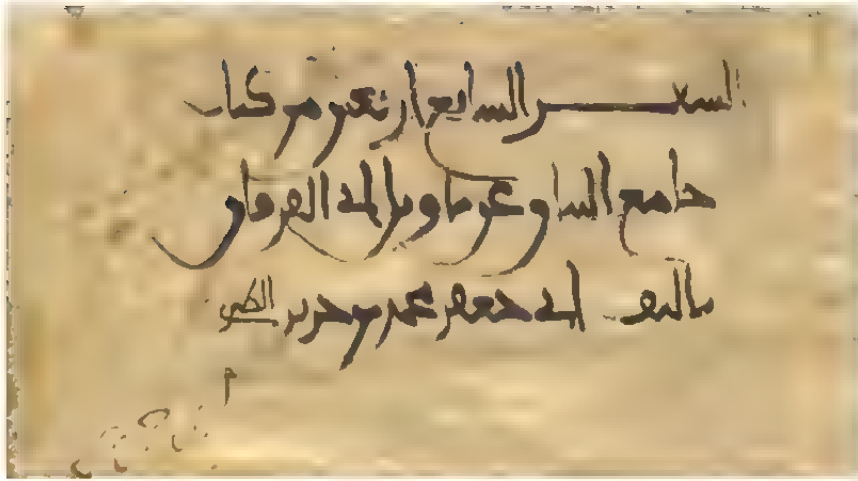
المصدر: جامعة: برنستون، رقم: 1319

شكل: 2

¹²⁷ - ابن الأثاري، العناية الربانية في لطريقة الشيعانية، ص: 250

¹²⁸ - الرفاعي، نظم لآلئ السمط، ص: 178

والملاحظ أن إعجام الحروف على الطريقة المشرقية، لم يكن الشيء الوحيد الغريب في المخطوطات المغربية، بل وجدنا ما هو أغرب من ذلك، ويتجلى الأمر في كتابة بعض المخطوطات المغربية بخط تخلو حروفه من التنقيط بشكل كلي، على غرار الخط الكوفي المصحفي القديم، وللاطلاع على هذا النوع من الخط نقترح الشكل التالي الذي يمثل الخط المبسوط - الأندلسي القديم، الذي كان حديث عهد بالحرر من الخط الكوفي سيما بعدما استعمل - عوضا عنه - في نسخ المصاحف الشريفة (انظر شكل: 3).



جزء من الصفحة الأولى لمخطوط: "جامع البيان عن تأويل القرآن"، نسخة ترجع إلى القرن: الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، كتبت بطريقة غريبة غير معهودة، فهي خالية من الشكل والإعجام بشكل كلي، مما يذكرنا بالبدايات الأولى للخط العربي في صورته الأولى
المصدر: خزانة القرويين - فاس، رقم: 912
شكل: 3

وقد حرص المغاربة في العصر المريني على التفريق بين الحروف المعجمة والحروف المهملة، وتشددوا في ذلك تجنباً للبس والتصحيف، فابن الحاج العبدري الفاسي يرى أنه ينبغي للناسخ "أن يبين الحروف في كتابته، ولا يعلق خطه حتى لا يعرفه إلا من له معرفة قوية، بل تكون الحروف بيئة جلية، فلا يترك شيئا من الحروف التي تحتاج إلى النقط دون أن ينقطها، لأن الباء تختلف مع التاء والتاء، ولا يقع الفرق بينهما إلا بالنقط، وكذلك الجيم والحاء والفاء، إلى غير ذلك، فليتحفظ على ذلك لأن بفعله تعم المنفعة لكثير من المسلمين.."¹²⁹.

¹²⁹ - ابن الحاج العبدري، المدخل، ج/4، ص: 84.

ومن ضمن المميزات التي انفرد بها المغاربة في خطهم: عدم إصاق نقطتي التاء والياء كالمشاركة (انظر الشكل التالي):



وذلك راجع إلى كون النقط في الخط المغربي مدورة، وليست مضلعة على شاكلة الخطوط المشرقية، حيث ترسم في الخط المغربي برأس القلم المدبب ذو القطبتين، هذا وإن كانت ترسم مدورة حتى في الخط المشرقي في بعض الأحيان، وخاصة في خط الثلث، وذلك بسبب بعض الضرورات التركيبية، كتجاور الأحرف من ذوات السن كالباء وأخواتها، والياء والنون، التي كان يُلجأ أحيانا إلى رسم نقطها مدورة، لتفادي اختلاطها، وبالتالي تفادي التباس أسنانها؛ المؤتلفة في الشكل والصورة، المختلفة في اللفظ والمعنى. يقول ابن الأثير في ذلك¹³⁰:

والنقط قسمان، فقسّم ربعا	وآخر مدور قد وضعا
فما بتربيع لديهم يشترط	إيراده مربعا على نمط
وما لتدوير كمثّل الأول	في نسب وفيه دور ينجلي
فتارة يضطر فيه الكاتب	لكثرة كبيتنا يقارب
باء وياء، ثم تاء بعدها	نون فخذ ترتيبها في وردها

ومن الاجتهادات الشائعة اليوم؛ لجوء بعض الخطاطين المغاربة إلى كتابة الخطوط المغربية بقلم مشرق، مما تسبب في تغيير بعض سماتها الفنية، وعلى رأسها النقط التي ذهب بعضهم إلى رسمها مضلعة على شاكلة الخط المشرقي.

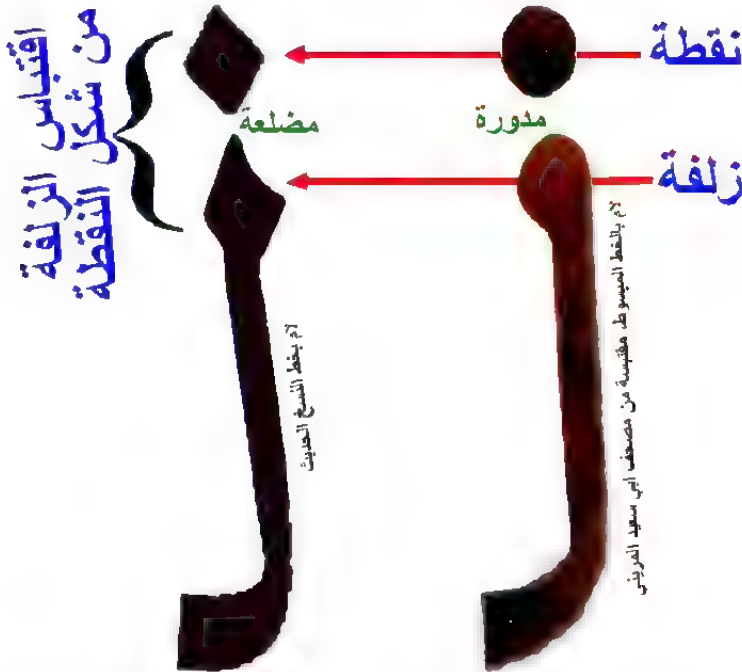
والملاحظ أن الشكل المدور لنقط الخط المغربي، هو الذي تحكم أيضا في شكل الزلفات والترويسات¹³¹، التي تضاف إلى بعض الحروف، حيث نلاحظ أن الزلفة المغربية مدورة - هي الأخرى - على شكل حلقة مطموسة، خلافا للزلفة المشرقية التي تكون مضلعة على شكل: "المُعِين"، ومعنى هذا؛ أن الزلفة لا تعدو أن تكون سوى تلك النقطة أو جزء منها يُدغم في

¹³⁰ - ابن الأثير، الحباية الربانية في الطريقة الشيعانية، ص: 245
¹³¹ - الزلفة هي نوع من الحليات والترويسات التزيينية التي تتخذ شكل نقطة، تُدغم في بعض الحروف كالألف واللام وما شابههما ومعنى "زلف إليه وأزلف وتزلف: دنا منه". "وزلف في حديثه: زاد كزرف، يقال: فلان يزلف في حديثه ويَزرف. أي: يزيده". انظر مادة "الزلف" في لسان العرب، ج/9، ص 138 - 139 - 140. فعلى هذا المعنى - إن - تكون "زلفة أو الترويس نقطة مريضة، تصاف لجذر الحرف من باب التزيين، وربما التصحيح

الجزء العلوي للحرف، ليصير حرفاً متوجاً أو مروساً، ونستند في ما قلناه على الألفية التي نظمها ابن الأثاري، والتي ذكر فيها أن¹³² :

ترويس حرف أول من شرطه في رأسه امتزاج نصف نقطة

ومن أهم الأحرف التي تزين بالزلف والترويس: الألف واللام، وتزيين هذين الحرفين بالزلف، حاصر في سائر أصناف الخط المغربي بشكل عام، كما أنه حاصر في كافة الحالات التركيبية في كل صنف على حدة، بخلاف الخط المشرقي الذي يجرد فيه الحرفان من الزلف أثناء التركيب في حالتي: التوسط والتطرف، أما في حالة الأفراد، فهناك اختلاف بين الخطوط المشرقية في هذا الشأن، ففي خطي: الثلث والمحقق، يُزين الحرفان معاً بالزلف، أما في خط النسخ فلا يزين إلا حرف اللام، بينما يظل الألف مجرداً في حالة الأفراد وفي جميع الحالات التركيبية، والجدير بالذكر أن هذان الحرفان (الألف واللام) يكونان في الخط المغربي مستقيمان أو مائلان إلى جهة اليمين في شقهما العلوي، على عكس الخطوط المشرقية، التي يكونان فيها مائلان إلى جهة اليسار (انظر شكل: 4).



اختلاف شكل الزلفة والترويس بين الخط المغربي والخط المشرقي، تبعاً لاختلاف شكل النقطة بينهما
شكل: 4

¹³² - ابن الأثاري، الحداية الربانية في الطريقة الشيعانية، ص: 241

الفصل الثالث

ملاحظات جوهريّة حول بعض الحروف من حيث التجريد
والتجسيد، وقوانين تركيب صورها في الخط المغربي خلال
العصرين المريني والسعدي
(دراسة مقارنة)

ظل استعمال الخط اليباس (الكوفي) حاضرا في المصاحف المغربية حتى غاية القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، ويلاحظ بعد ذلك، وخاصة في العصرين: المريني والسعدي، تطور الخط إلى اللينة، التي حاول الخطاطون المغاربة من خلالها؛ تطويع واقتباس معظم صور حروفهم من واقعهم المادي كما شهد على ذلك الرفاعي، حيث وصف بعض الحروف بمسميات مادية. فقد شبه حرف الدال بالطائر، حيث قال فيها¹³³ :

وبعضهم يجعلها كطائرة لها جناحان وصدر طايرة
وشبه حرف العين في بعض صورهِ بعين العذاري وعلى رأسهن شهيرة الغزل العذري:
"عبله" حيث يقول¹³⁴ :

وإذا كانت في الخط صدرا كعين عبل وكعين عذرا
ومن خلال قراءتنا لمنظومة الرفاعي، نستنتج أنه قسم حروف الخط المغربي إلى ستة أقسام، حصرها فيما يلي:

- * **الحروف القائمة:** وهي: الألف واللام والهاء الموافقة (أ - ل - هـ)
 - والحق بهذه المجموعة: الحروف المستوية: وهي: الباء والتاء والثاء والياء والنون والسين والشين.
 - * **الحروف المفتوحة:** وهي: الميم والمفاء والقاف والهاء والصاد والضاد والطاء والعين وسط الكلمة.
 - * **الحروف المشقوقة:** وهي: الدال والذال والياء الراجعة التي يسميها المشارقة بالسيفية، والكاف بنوعيهما: السيفي والزنادي، والعين والغين والحاء والخاء.
 - * **الحروف المعرقة:** وهي: الراء والزاي والنون المفردة وأحواض اللام والقاف والياء والصاد والضاد والسين والشين وأقواس الحاء والخاء والعين والغين.
 - * **لام الألف بصورها المتعددة.**
 - * **حروف التركيب:** وهي: الجيم والحاء والخاء وغيرها من الحروف¹³⁵.
- واشترط الرفاعي في رسم الحروف التي ذكرها، صورا تستند إلى القانون الرياضي كالمستقيم، والدائرة ونصف الدائرة وربعا، والمثلث، وغير ذلك من الأشكال الهندسية.

¹³³ - الرفاعي، نظم لألئ السمط، ص 179

¹³⁴ - نفس المصدر، ص 180.

¹³⁵ - نفس المصدر، صص 177 - 181.

وقد حاولنا أن نستحضر هذه الأبعاد، من خلال تمسيقنا لإحدى البسملات الرائقة التي استخرجناها من مصحف مريني نسخ في سنة: 648هـ/1250م خلال عهد أبي يوسف يعقوب المريني (انظر شكل: 25 في الملحق)¹³⁶. (انظر أيضا شكل: 5).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تمسيق ط

<p>الاسم الخضراء تشير إلى نطق الارتكان</p> <p>المثلثات تشير إلى اللزائم التي خلفه</p> <p>المتدرج في القوام</p>	<p>الاسم الخضراء تشير إلى نطق الارتكان</p> <p>المثلثات تشير إلى اللزائم التي خلفه</p> <p>المتدرج في القوام</p>	<p>المستوى الأدنى العلوي</p> <p>المستوى الأدنى القاعدية</p> <p>كيفية مرشدة</p> <p>المستوى الأدنى القاعدية</p>	<p>المستوى الأدنى العلوي</p> <p>المستوى الأدنى القاعدية</p> <p>كيفية مرشدة</p> <p>المستوى الأدنى القاعدية</p>	<p>المستوى الأدنى العلوي</p> <p>المستوى الأدنى القاعدية</p> <p>كيفية مرشدة</p> <p>المستوى الأدنى القاعدية</p>	<p>المستوى الأدنى العلوي</p> <p>المستوى الأدنى القاعدية</p> <p>كيفية مرشدة</p> <p>المستوى الأدنى القاعدية</p>
--	--	---	---	---	---

الأبعاد الهندسية للبسملة في الخط المبسوط (مستخرجة من مصحف نسخ في سنة: 648هـ/1250م خلال عهد أبي يوسف يعقوب المريني) شكل: 5

أما في الخط المشرقي، فقد تم تقسيم أجناس الحروف إلى سبعة أقسام بناء على ما ذهب إليه صاحب وضاحة الأصول في الخط (قبل ق. 12 الهجري)، حيث قال في ذلك¹³⁷:

إعلم هـذاك الله فالكتابة
منسطح ومنحن ومنصب
ومستدير بعده مقوس
سبعة أقسام على الإصابة
كذاك منكب ومسئق كتب
من فهم الأقلام حقاً يراس

وحتى نربط بين هذه الإشارات المصدرية ودراستنا الفنية، نشير إلى أننا سنقوم بالمزاوجة بين صور بعض الحروف، وبعض الصور المستلهمة من الواقع المادي، وذلك بغية رصد ظاهرة الاقتباس التي تأثر بها الخطاط المغربي، ولتكون دراستنا مفصلة أكثر، سنعتمد إلى تشرح بعض صور الحروف التي تكتسي بعداً تجريدياً أو تجسدياً، وذلك قصد الاطلاع على بعض التقاسيم الفنية التي أبدعها الخطاط المغربي.

¹³⁶ - قمنا بدراسة هذا المصحف دراسة تاريخية فنية في أطروحتنا لنيل الدكتوراه. راجع: محمد عبد الحفيظ خبطة، مرجع سابق، صص: 170 - 186

¹³⁷ - الصيداوي (عبد القادر)، وضاحة الأصول في الخط، تحقيق: هلال باجي، مجلة للمورد، العدد الرابع، المجلد الخامس عشر، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1988م، ص: 165.

1) رُسَم الألف مستقيماً أو مائلاً ميلاناً طفيفاً إلى جهة اليمين، وقد حافظ على إحدى أهم سماته في الخط الكوفي، ألا وهي: الزلفه المخيلية التي تكون في أسفله معقوفة إلى جهة اليمين، لكن هذه العقيفة، قد تم استعمالها في بعض الأحيان خلال العصرين: المريني والسعدي إلى جهة اليسار، بل إن استعمالها عاد من جديد ليصبح ضرورة فنية في العصر العلوي، وينحدر الألف المركب عن مستوى السطر، فيكوّن زائدة كوفية، أو (طنب)¹³⁸، وهو من المميزات التي نراها باقية في الخط المبسوط وغيره من الخطوط اللينة، ولعل هذا الأمر راجع إلى بدء رسمه (أي: الألف) من أعلى إلى أسفل، عكس المسار الذي يُرسم وفقه في الخطوط المشرقية (انظر الشكل التالي):



ويُشترط في الألف وغيره من القوائم، أن تكتب وفق نمط يخصص لمنطق التماثل والتوازي، سيما إذا كان مجاوراً لما يماثله من الحروف. يقول الرفاعي¹³⁹ :

وقائم الحروف سوقاً قامت به مع أخيه واحذر تفاوته
بحيث لو أتت عليه مسطرة مرت برأسهم غير مسفرة

ويعد حرف: "الألف" أشرف الأشكال، لأنه الصورة الخطية التي تجسد عقيدة التوحيد عند المسلمين، لذلك وجدناه متجهاً برأسه إلى أعلى، على النقيض من حرف: "A" اللاتيني

¹³⁸ - "الطنب، بالفتح: اغوجاج في الرمح.. والإطناب: البلاغة في المثلوق والوصف، منخا كان أو دُما. وأطنب في الكلام: بلغ فيه. والإطناب: المبالغة في مدح أو ذم والإكثار فيه. والمطنب: المذاح لكل أحد. ابن الأثيري: اطنب في الوصف إذا بالغ واجتهد؛ وأطنب في غوره إذا مضى فيه باجتهاد ومبالغة. وقرس في ظهره طنّب أي طول؛ وقرس اطنب إذا كان طويلاً القوس، وهو غيب...". اسطر
لسان العرب، ج/1، ص: 562 ويطلق الطنب في الخط على الزائدة التي تضاف للألف أثناء تركيبه، حيث تتحد عن مستوى السطر القاعدي الناطم للحروف، وذلك حتى تخلف نوعاً من التوازن في النسق العام للخط
¹³⁹ - الرفاعي، نظم لألن السط، ص: 182.

الذي وبثأملنا له، نجده يجسد عقيدة الثالوث. وقد أشار الرفاعي إلى هذا المعنى في منظومته، حين ربط الألف والحروف التي تشبهه في الاستقامة بعقيدة التوحيد، فقال معبراً ذلك¹⁴⁰:

أجل ما انتصب واستقاماً	وخير خط في اعتدال قاماً
الألف الحائز قصب السبق	بمسجدة سجدتها للحق
يشهدنا بأن الله واحد	ما إن له من ولد ووالد
واللام مثله بلا تناء	وارسم كذلك بقاء بسم الله
وأتبعن في الوصف هاء واقفة	وهي لأسفل اليسار عاطفة

(2) نلاحظ ليونة في عراقات "النون" وأحواض الأحرف المشتقة منها، فقد تقوست وتقعرت بشكل خالفت فيه أصلها اليابس، حيث قام الخطاط المغربي بترقيتها¹⁴¹، إلى درجة بدت معها كنصف دائرة مستوية بحدبتها على السطر (انظر الشكل التالي):



وقد أشار الرفاعي إلى هذا المعنى بقوله¹⁴²:

والنون في التعريق نصف دائرة ليس لها قرن للأعلى ظاهرة

ولعل شكلها نصف الدائري هذا، هو ما مكن بعض الخطاطين من توظيف فضاءاتها لرسم فواصل الآيات، وتراجم المصحف من أخماس وأحزاب. الشيء الذي خلق تناغماً فنياً بديعاً، يجمع بين الخط والزخرفة كما نلاحظه من خلال بعض المصاحف المرينية، وعلى رأسها: مصحف أبي يعقوب يوسف المريني الذي كتب برسم خزانته سنة: 705هـ/1306م، والذي كاد ينفرد بهذه الخاصية (انظر شكل: 27 في الملحق)¹⁴³، ولم تشترك معه فيها إلا بعض المصاحف المرينية القليلة؛ كما هو الشأن بالنسبة لمصحف مريني محفوظ بمتحف

¹⁴⁰ - نفس المصدر، ص: 177.

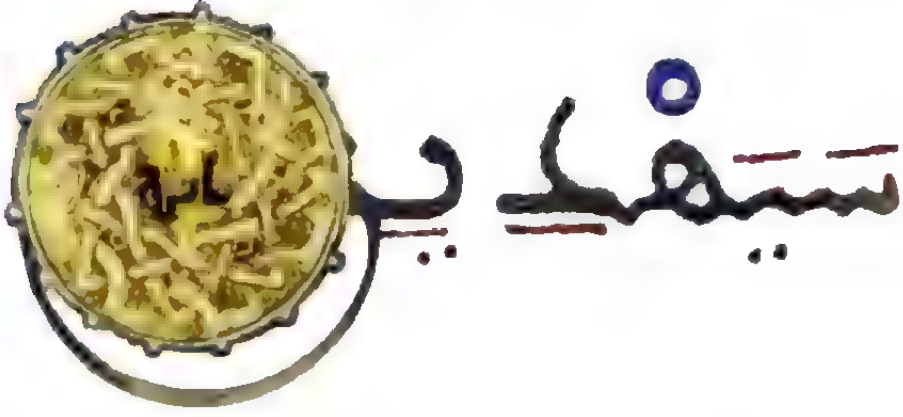
¹⁴¹ - الترفيل: هو رسم أحرف المقعرة بشكل قريب من نصف دائرة

انظر: أحمد شوقي بنين - مصطلح طربي، معجم مصطلحات المخطوط العربي، ص: 53

¹⁴² - الرفاعي، نظم لآل المصمط، ص: 180.

¹⁴³ - قمنا بدراسة هذا المصحف دراسة تاريخية - فنية في أطروحتنا لنيل الدكتوراه. راجع محمد عبد الحفيظ حبطة، مرجع سابق،

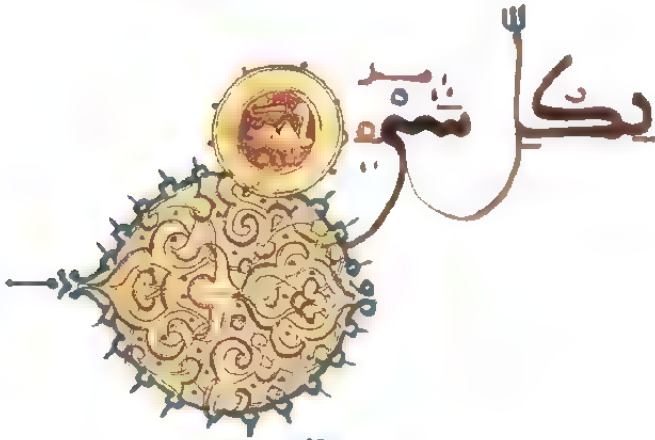
المتروبوليتان للفنون بنيويورك، تحت رقم: (42.63)¹⁴⁴. وكلمة: "سيهدين" التي استخرجناها من هذا المصحف، تجسد ما قلناه بامتياز (انظر الشكل التالي):



ونلاحظ في مصحف أبي يعقوب يوسف المريني الاتف الذكر (705هـ/1306م)، أن الخطاط قد استغل فضاءات بعض أحواص الحروف، كالنور والراء لرسم تراجم المصحف وفواصل آياته، مما خلق تناغما فنياً بديعاً، يجمع بين الخط والزخرفة، ولإبراز ذلك، اقترحنا عدة كلمات استخرجناها من المصحف المذكور (انظر شكل: 6).



¹⁴⁴ - قمنا بدراسة هذا المصحف دراسة تاريخية - فنية في أطروحتي لنيل الدكتوراه. راجع محمد عبد الحفيظ حبطة، مرجع سابق، ص: 304.



كلمات مستخرجة من مصحف أبي يعقوب يوسف المريني (705/1305م)، تبين كيفية
استغلال أحواض النون والراء، لرسم تراجم الأخماس والأعشار والأحزاب.
شكل: 6

وقد وُظِّفَت فضاءات النون أيضا في احتواء حروف أخرى تصغرها في الحجم، بل وحتى الحروف المماثلة لها، كما نلاحظه من خلال المقطع التالي المستخرج من مصحف عبد الله "الغالب" السعدي (انظر شكل: 31 في الملحق)¹⁴⁵، والذي عمد الخطاط من خلاله إلى تصغير حجم حوض الياء المشقة منها، قصد التمكن من حشرها داخل فضاء النون، وهذا يدل بشكل صريح على عدم تقيد الخطاط المغربي بمقاييس ثابتة في رسم الحروف، لأن مفهوم الجمال عنده يرتبط بتطويع الحروف وتحريرها من الرتابة التي تفرضها القوانين الهندسية والرياضية المعتمدة في كتابة الخطوط المشرقية (انظر الشكل التالي):



مقطع مستخرج من مصحف عبد الله الغالب السعدي

وحتى تربط ما قلناه ببعض النماذج الأخرى التي درسناها، نشير إلى أننا وجدنا بعض الاختلافات في صور وأشكال هذا الحرف. فشكل النون في مصحف أبي سعيد المريني (انظر شكل: 28 في الملحق)¹⁴⁶ - على سبيل المثال - عبارة عن حوض متسع شديد التقعير، لكن درجة تقويره تختلف بين النصف الأيمن للحوض ونصفه الأيسر، مما يدل على عدم طول النفس في الكتابة، فالخطاط الذي نسخ هذا المصحف، كانت تعوزه القدرة على الاسترسال في كتابة الأحواض التي يحتاج رسمها إلى مهارة متناهية، مقترنة بصبر وأناة كبيرين، فقد كان يعجز مثلا عن إتمام حوض النون الذي ذكرناه - وخاصة نصفه الأخير - بنفس درجة التقوير الذي بدأه بها، مما أفقده شكله نصف الدائري.

وإذا قارنا شكل النون في مصحف أبي سعيد، وشكلها في مصحف أبي يوسف يعقوب (انظر شكل: 25 في الملحق)¹⁴⁷، وقفنا على براعة الخطاط الذي نسخ مصحف أول أمراء بني

¹⁴⁵ - كُتِبَ هذا المصحف برسم حزانة عبد الله "الغالب" السعدي سنة 975هـ/1567م، وقد قمنا بدراسته دراسة تاريخية - فنية في أطروحتنا لنيل الدكتوراه. راجع: محمد عبد الحفيظ خبطة، مرجع سابق، صص: 272 - 285
¹⁴⁶ يعرف هذا المصحف بـ "ربعة أبي سعيد المريني"، وقد قمنا بدراسته دراسة تاريخية - فنية في أطروحتنا لنيل الدكتوراه. راجع: محمد عبد الحفيظ خبطة، مرجع سابق، صص: 208 - 215
¹⁴⁷ - قمنا بدراسة هذا المصحف دراسة تاريخية - فنية في أطروحتنا لنيل الدكتوراه. راجع: محمد عبد الحفيظ خبطة، مرجع سابق، صص: 170 - 186

مرين، كما وقفنا أيضا على تلك النسبة الذهبية، التي تفصل بين نون رسمت وفق نمط هندسي مضبوط، أشبه ما يكون بنصف دائرة، وبين نون رسمت ارتجالاً، مما جعل صورتها الفنية صورة مختلفة، فالنون في مصحف أبي يوسف يعقوب، تتميز برسوها على نقطة ارتكازية بؤرية، تنم عن التوازن بين طرفي الحوض، كما أن نقطة النون بمثابة مركز لدائرة شكلنا نصفها العلوي الوهمي المفترض، بنسخ نفس النور، ووضعها - بعد تغيير لونها - بشكل مقلوب متناظر مع النون الأصلية. (انظر الشكل التالي):

ظل مرآتي مفترض للنون



حرف النون

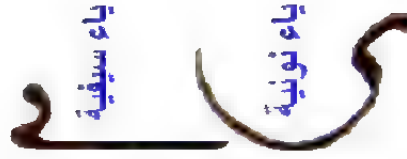
مستخرجة من مصحف أبي يوسف يعقوب المريني

أما النون في مصحف أبي سعيد، فيلاحظ اختلال توازنها، مما جعلها مائلة إلى اليسار، بسبب الحركة الطائشة غير الموزونة ليد الخطاط الذي نسج المصحف، حيث لم يعط الحرف في نهايته، نفس درجة التقوير التي استهل به بدايته، (انظر الشكل التالي):



مستخرجة من مصحف أبي سعيد المريني

ولأن الحروف يشتق بعضها من بعض، نشير إلى أن الحروف التالية: السين، والصاد، والقاف، والياء، يضاف لها حوض النون بكامل تفاصيله، وإذا كان استعمال حوض النون واجب في الحروف الثلاثة الأولى، فإنه جائز في حرف الياء التي كانت ترسم بصورتين اثنتين: نونية، وسيفية (انظر الحرفان التاليان اللذان استخرجناهما من مصحف عبد الله "الغالب" السعدي):



وبرجعنا إلى أحد المصاحف المرينية، ألا وهو مصحف أبي يوسف يعقوب المريني، نلاحظ أن الخطاط الذي حرره، استعمل في الياء السيفية نفسها صورتين اثنتين: صورة مقبوضة، وأخرى مرسلّة (انظر الشكل التالي):



ياء سيفية مرسلّة

ياء سيفية مقبوضة

وكيفما كان الحال، فإن الياء السيفية (الراجعة) تعد من أبرز الصور التي ورثها الخط المبسوط عن الخط الكوفي المصحفي القديم، وخاصة "خط المشق" الذي يعرف بالامتدادات المشبعة لسائر حروفه، كما نلاحظه - على سبيل المثال - من خلال الكلمات التالية التي اقتبسناها من سورتي: "الليل" و "التين"، من مصحف قديم يرجع إلى القرن الثالث الهجري (انظر شكل: 17 في الملحق)¹⁴⁸، حيث يلاحظ أن بعضها شغل سطرا بأكمله بسبب امتدادات بعض الحروف (انظر الشكل التالي):



وهي نفس السمة التي ظلت حاضرة في الخط الأندلسي الذي لم يتحرر من الخط الكوفي، حيث بقيت سمات هذا الأخير حاضرة فيه؛ وخاصة خط المشق الذي ورث الأندلسي

¹⁴⁸ - راجع: محمد عبد الحفيظ خبطة، مرجع سابق، ص: 75.

الذين معظم صور حروفه، وعلى رأسها الحروف التي تتميز بالامتداد، وقمنا بلي مقطع من مصحف كتب بخط أندلسي يعود تاريخه إلى عهد أبي يعقوب يوسف المريني يقدم لنا وجوه ذلك التأثير (مؤرخ في سنة: 703هـ/1303م)¹⁴⁹. (انظر الشكل التالي):

[illegible]

مقطع مستخرج من مصحف كتب بخط أندلسي يعود تاريخه إلى عهد أبي يعقوب يوسف المريني (مؤرخ في سنة: 703هـ/1303م)

ورغم أن الأحواض تكاد تكون في معظم الخطوط المغربية إما مقعرة أو منبسطة، إلا أن بعض المصاحف المغربية القديمة تقدم لنا صورا غريبة في رسمها؛ ونخص بالذكر في هذا

¹⁴⁹ - مصدر المصحف: المكتبة الوطنية - باريس، رقم. 385 arabe - راجع: محمد عبد الحفيظ خطبة، مرجع سابق، ص 99

المضمار بعض المصاحف المحررة بالخط الكوفي القيرواني، والتي تمدنا بأشكال متنوعة من ضمنها، شكل غريب أطلقنا عليه تسمية: "الشكل الخنجري"، وهذا الشكل من الأشكال التي تخلو الخطاطون المغاربة عن استعمالها في خطوطهم اللينة، مقابل تمسكهم باستعمال بعض أشكال الحروف الأخرى، التي ظلت صورها حاضرة في الخط المبسوط الذي حل محل الخط الكوفي القيرواني، وغيره من الخطوط الكوفية الأخرى في نسخ المصاحف الشريفة، ولمعرفة الملامح الفنية للشكل المذكور، نقترح الحرف التالي: "علي" الذي استخرجناه من مصحف علي بن أحمد الوراق (410هـ/1019م)¹⁵⁰:



الاحواز الخنجرية احدي أهم سمات الخط الكوفي القيرواني

ومن باب المقارنة، نشير إلى أن الباء لها حوض مستو يختلف عن حوض النون نصف الدائري، وذلك حتى لا تختلط بها، رغم كون السن يعبر عنهما في حالة التركيب، وصفة الاستواء في حرف الباء وأختيها: التاء والثاء؛ من المسلمات الفنية المتعارف عليها في الخطين: المشرقي والمغربي، لكن ما يسترعي الانتباه، هو أن بعض الخطاطين المغاربة اقتسوا حوض النون، وبعد تحويره وتصغير حجمه، استعملوه في كتابة الباء، فرسموها بشكل مائل، تستند فيه على طرفها الأيمن، مما جعلها تظهر على شكل هلال كامل المعالم، كما نلاحظه من خلال الحرف التالي الذي استخرجناه من مصحف نسخ في عهد أبي يعقوب يوسف المريني (انظر الشكل التالي):

¹⁵⁰ - مصحف علي بن أحمد الوراق هو المصحف الذي يعرف بـ "مصحف العاضنة"، لأن علي الوراق نسخه برسم خزانة فاطمة العاضنة (مربية) الأمير البربري. باديس. تم تحبيسه سنة: 1019/410م. وهو يشكل نموذجا للخط الكوفي القيرواني المتأخر، المشكول بطريقة لخليل بن حمد الفراهيدي يحفظ هذا المصحف حاليا بمتحف الفنون الإسلامية - رقادة - القيروان. تونس، رقم P227 راجع: محمد عبد الحفيظ خبطة، مرجع سابق، ص 78



باء هلالية

وقد أصبحت هذه الصورة هي الشكل المستعمل في الخط المبسوط إلى اليوم، أما الصورة المستوية للباء فقد تم تجاوزها من طرف معظم الخطاطين المغاربة، وهي صورة تعد من مخلفات الخط الكوفي، وخاصة "المشوق"، وقد كانت هذه الصورة حاضرة في بعض المصاحف والمخطوطات المرينية والسعدية، بل هناك مصاحف تجمع بين الصورتين معا. وفي مصحف السلطان السعدي: أحمد المنصور الذهبي (انظر شكل: 32 في الملحق)¹⁵¹، عثرنا على باء مستوية شغلت معظم السطر بعد إرسالها (انظر الشكل التالي):



والملاحظ أن الخطاط مد الباء وأعطاه أكبر قدر ممكن من الإشباع، بهدف شغل المساحة المتبقية من السطر، والعلة في ذلك واضحة؛ تتجلى في كور الكلمة المقترحة هي آخر كلمة من سورة: "الضحى"، ومنه يمكن القول أن الالتجاء إلى ذلك، غالبا ما كان محكوما بالضرورة التي تفرضها نهايات بعض السور القرآنية، وحتى نؤصل لهذا التصرف الفني، نشير إلى أنه مستلهم من خط المشق، الذي كان يتميز أكثر من غيره بهذه الخاصية، ولتركيزه هذا الطرح؛ نقترح الكلمة التالية المقتبسة من مصحف قديم يرجع إلى القرن الثالث الهجري¹⁵²، تصرف فيه الخطاط بنفس المنطق الفني؛ حيث أرسل الباء لشغل المساحة المتبقية من السطر، لكونها الحرف الأخير من آخر كلمة في سورة: "العلق" (انظر الشكل التالي):

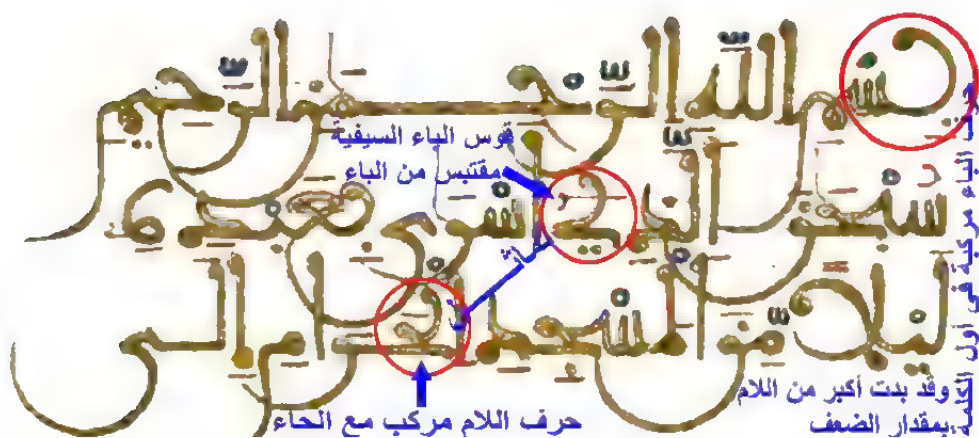


¹⁵¹ نسخ هذا المصنف برسم حزاية السلطان حمد المنصور الذهبي سنة 1599/1008م، وقد قمنا بدراسته دراسة تاريخية فنية في أطروحتنا لنيل الدكتوراه. راجع: محمد عبد الحفيظ خبطة، مرجع سابق، صص: 286 - 300.
¹⁵² راجع: محمد عبد الحفيظ خبطة، مرجع سابق، ص: 75.

ومن باب التوضيح، نشير إلى أن الصورة التي رسمت وفقها الباء في مصحف المنصور السعدي حالة شاذة، والشاذ لا يقاس عليه، ولذلك نعود ونؤكد على أن الصورة التي استقر استعمالها منذ العصر المريني إلى اليوم؛ هي الصورة الهلالية التي لم تستخدم في حالة الأفراد فحسب، بل حتى في حالة التركيب، وتحديدا في أول الكلمة (الابتداء)، حيث تبدو في تلك الحالة كحاجب حرف العين، ولكن بشكل معكوس كما نلاحظه من خلال الصورة التالية (المستخرجة من مصحف أبي يوسف يعقوب المريني):



وقد تم اقتباس هذه الصورة، في رسم مجموعة من صور الحروف الأخرى منذ استقرار الخط المبسوط خلال العصر المريني، ومن بين تلك الحروف: الباء السيفية، واللام والحاء اللذان يولدان بتركيبيهما استدارة يفسرها تحوير الصورة الطبيعية للام من شكل مستقيم تتجاوز استطالته خمس نقط، إلى شكل هلالى مقتبس من حرف الباء، يتشابه فيه معها إلى درجة أنها لا تميز عنه إلا بالإعجام. بل إننا نلاحظ في بعض الصور الشاذة أن حرف الباء قد يتجاوز حجمه حجم اللام بمقدار الضعفين، ونستدل في ذلك بمصحف أبي يوسف يعقوب المريني، الذي استخرجنا منه المقطع التالي:



وما دمنا نتحدث عن الأحواض والأهلة، نشير إلى أن الأحرف التالية: (ب، ت، ث، ن، ي)، التي تجمع في كلمة: "يثبتن"، تمتلك شكلا واحدا إذا ما رُكبت في بداية الكلمة أو في وسطها، وليس ثمة من اختلاف بينها إلا فيما يتعلق بقانون: الإعجام والإهمال. وتبقى دراسة السن المُعَبَّر عنها عموما، دراسة ليست باليسيرة، لهذا ارتأينا أن نسلط الضوء على بعض صوره من خلال الاعتماد على مصحف عبد الله الغالب السعدي.

إن السن يتراوح ارتفاعه في أغلب الصور التي وقفنا عليها؛ بين نقطة ونقطة ونصف في بداية الكلمة، أما في وسطها، فيرسم بصورة مدغمة إذا جاء قبل أو بعد حرف مستعل كما هو مبين أسفله (السن التالي مستخرج من مصحف عبد الله الغالب السعدي):



وذلك حتى لا يتناول على الحرف المستعلي الذي جاء قبله أو بعده، فتختلط صورته به، خاصة إذا كان الحرف المستعلي متوسط الطول كالذال.

أما إذا كان السن قبل أو بعد حرف مستوي، وخاصة حرف السين، فإنه يُرسم بشكل بارز، وهو يقارب في طوله ثلثي طول الألف إذا كان محققا، وثلثه إذا كان مقنطرا كما يستنتج ذلك من خلال الكلمة التالية المستخرجة من مصحف الغالب السعدي:

12/3
مستقيما

والسر في ذلك يرجع إلى أسنان السين الثلاثة، فلو رسم سن الناء - جدلا- في الكلمة السابقة بشكل مدغم هكذا:

مستقيما

لاختلط بأسنان السين، ولببت السين كما لو أنها قد رسمت بأربعة أسنان، وعلى أقل تقدير ظهرت في موقع مغاير لموقعها الأصلي في الكلمة، ولالتبس على القارئ تمييزها عن الحرف الذي قبلها والحرف الذي بعدها.

ويُرسَم السن محققا أيضا إذا جاء متوسطا بين سنين آخرين، أو سن وحرف منخفض، حيث يرفع لكي لا يقع الخلط بين هذه الأسنان الثلاثة، أو بين سنين في حالة وجود حرف

منخفض عوض السن الثالث، كما هو الأمر في الكلمة التالية المستخرجة من مصحف الغالب السعدي:

مِينَا

فلو رُسم سن الباء التي تقع بين الميم والياء بشكل مدغم على غرار الأسنان التي جاءت بعده، لاختلطت بها ولأصبحت صورة الحروف الثلاثة: الباء والياء والنون، على صورة حرف واحد هو حرف السين، ولتأكيد ذلك حاولنا تغيير صورة الباء - على سبيل الجدل - بصورة مماثلة للياء والنون اللتين أتيا بعدها، فكانت النتيجة كالتالي:

مِينَا

من خلال ما سبق نشير إلى أن حديثنا عن الأحواض والتركيز على دراستها، مرده إلى كونها تعد السمة المميزة للخط اللين - وعلى رأسها المبسوط - فهي التي حررته من الصور اليابسة للخط الكوفي، وأدخلت عليه نوعاً من الحركة والانسياب، مما أفضى إلى تعدد صور الحروف وإثرائها. والحقيقة أن الأحواض لم تساهم في ذلك وحدها، بل هناك عناصر أخرى ساهمت في تليين الخط المبسوط وإثراء صورته، إنها: الأقواس التي تضاف لبعض الحروف، وعلى رأسها: حرفي: الحاء والعين. ومن خلال دراستنا لبعض المصاحف والمخطوطات المرينية والسعدية، تبين لنا أن الأقواس تتخذ شكلاً نصف دائري، شأنها في ذلك شأن الأحواض. لكن ما يمكن ملاحظته، هو أن هذه السمة إذا كانت من الثوابت الفنية في رسم الأحواض، فإنها لم تكن كذلك في رسم الأقواس، بليل أن بعض الخطاطين قاموا بتحويرها وفق صور اجتهادية، ومن ضمن ذلك؛ صورة فريدة لها قوس يتميز بزيادة ثعابانية، تتجه برأسها إلى أسفل. ولفهم ما قلناه؛ نترح المقارنة التالية:

مقتبسة من مصحف
أبي يعقوب المريني

قوس نصف دائري

مقتبسة من مصحف
أبي يعقوب المريني

مقتبسة من مصحف
أبي يوسف المريني

قوس له زيادة ثعابانية

والشكل التالي، المستخرج من مصحف أبي يوسف يعقوب المريني، يبين الدقة المتناهية في رسم الزيادة الثعبانية لقوس حرف العين، حيث بدت مجسمة بعدما أضفنا لها رأس ثعبان على وجه الحقيقة:



وإذا كانت الحاء والعين تتشابهان في رسم القوس في الخط المبسوط، فإنهما كانتا تتشابهان في الخط الكوفي القديم في كيفية رسم الرأس كما نلاحظه من خلال الشكل التالي المستخرج من مصحف قديم يرجع إلى القرن الثالث الهجري (انظر شكل: 17 في الملحق)¹⁵³:

مقطع مقتبس من مصحف مكتوب بخط المشق، يرجع إلى القرن الثالث الهجري

مخلب العين

ملاحظة: كان رأس العين في خط المشق، لا يزيد عن رأس الحاء إلا بالمخلب الذي يضلف إلى رأسه بشكل مائل في اتجاه اليمين



والسر في ذلك يكمن في تجرد حرف العين في هذا الخط من الحاجب الذي يتمتع به في الخط المبسوط:

مقتبسة من مصحف مريني كتب بماء الذهب في عهد أبي يعقوب يوسف المريني

حاجب العين

مقتبسة من مصحف يرجع إلى القرن الثالث الهجري

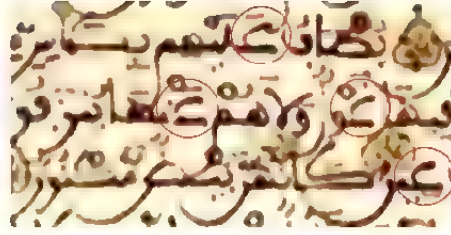
مخلب العين



ملاحظة: انفصل العين في خط المشق على المخلب، وتجردها من الحاجب الذي يتمتع به في الخط المبسوط

¹⁵³ - عن الدراسة التاريخية والفنية لهذا المصحف: راجع أطروحتنا لنيل الدكتوراه 'محمد عبد الحفيظ خبطة، مرجع سابق، ص: 75

وقد كان الخطاط المغربي يتفنن في رسم حاجبه المدور، حيث أعطاه صوراً متعددة، أهمها الصورة التي ذكرناها. ومن الصور الأخرى التي دأب الخطاط المغربي على رسمها، صورة شبيهة بفك الأسد، وجدناها مستعملة على وجه الخصوص في مصحف الأميرة مريم السعدية (انظر شكل: 30 في الملحق)¹⁵⁴؛ كما نلاحظه من خلال المقطع التالي الذي اقتبسناه من المصحف المذكور:



ولإبراز هذا التشبيه، قمنا باستخراج أحد من الأحرف المحاطة بدوائر حمراء في المقطع السابق، ووظفناه في رسم فك أسد مجسم (انظر الشكل التالي):



¹⁵⁴ - قمنا بدراسة هذا المصحف دراسة تاريخية - فنية في أطروحتنا لنيل الدكتوراه. راجع: محمد عبد الحفيظ خبطة، مرجع سابق، صص: 248 - 264

وقد كانت صورة رأس العين تحور بشكل كلي عند تركيبها في حالة التوسط (وسط الكلمة) وانتظرف المتصل (متصلة في آخر الكلمة)، حيث تكتب بشكل معقود، ويلاحظ أن مبدأ التناسب يفرض نفسه في المقارنة التي أجريناها في الشكل السابق والشكل التالي، فتجرد حرف العين من الحاجب في أول الكلمة هو ما جعلها مشقوقة في وسطها في خط المشق، وتمتعها بالحاجب، في أول الكلمة، هو ما جعلها معقودة من غير طمس في الخط المبسوط (انظر الشكل التالي):

من مصحف مريني



من مصحف يرجع إلى القرن الثالث الهجري



(3) الرء وأختها: تم تغيير شكلها اليبس الذي كانت عليه في الخط الكوفي إلى شكل أكثر ليونة، حيث أصبحت ترسم في الخط المبسوط على شكل قوس مائل، متجه بحدبته إلى جهة اليمين، ومستند على أحد طرفيه في اتجاه اليسار. يبدأ هذا الحرف بزلفه، وينتهي برأس رفيع على شكل مخلب، وعموما فقد اتخذ على المستوى الهندسي شكل ربع دائرة، كما عبر عنه الرفاعي بقوله¹⁵⁵ :

الرء قوس وهي ربع دائرة رأسها بالسطر وتحت سائرة

وقد رسم المغاربة الرء في بعض الأحيان كالدال، وخاصة في حالة الإدغام، حيث يشكل تركيب هذين الحرفين - رغم اختلاف صورتها في حالة الأفراد - تسلسلا جماليا فريدا كما نلاحظه من خلال كتابة ابن الخطيب (انظر المقطع التالي المستخرج من كتابة ابن الخطيب). (انظر أيضا شكل: 37 في الملحق)¹⁵⁶:

وَالسَّيْمُزُ تَقْرِيبُ الرَّاءِ لِمَا جَاءَ فِي الرَّوْحِ وَنَحْنُ سَوْمُ
فَرَّءُ ابْنِ رَاءِ

¹⁵⁵ - الرفاعي، نظم لألئ السمط، ص 180
¹⁵⁶ - قمنا بدراسة هذا المخطوط دراسة تاريخية وفنية في أطروحتنا لنيل الدكتوراه. راجع: محمد عبد الحفيظ خبطة، مرجع سابق، صص. 359 - 374

ورغم أن هذه السمة يكاد ينفرد بها الخط المجوهر، إلا أننا وجدناها مستعملة في الخط المبسوط في بعض الحالات، وذلك بحسب ما تملّيه بعض الضرورات التركيبية والجمالية، وقد رأينا كيف نمج ابن الخطيب بين صور المجوهر والمبسوط في كتابه: "عمل من طب لمن حب"، الشيء الذي خلق تجاوبا وتناغما بين صور الحروف رغم كونها مقتبسة من أصناف مختلفة.

(4) المبالغة في تليين بعض الحروف والحرص على كتابتها وفق نمط ثعباني التواني، حتى تزيد الخط بهاء وجمالا، ورغم أن صفة الالتواء المتناهي هي إحدى صفات الثلث المغربي، إلا أن الخط المبسوط قد نال حظه منها، في بعض الحروف. يقول الرفاعي¹⁵⁷ :

وقد يزيد الخط حسنا حرف	إذا التوى يحار فيه الوصف
كطاء سلطان سطا وطفأ	خطه واصطفي وطاء لطفأ
وهاء هاد وبهاء استحسنا	التواءها ومذهبي قد أحسنوا
لكن في التوانها تفصيلا	فاشرب إذا ما شئت سلسيلا

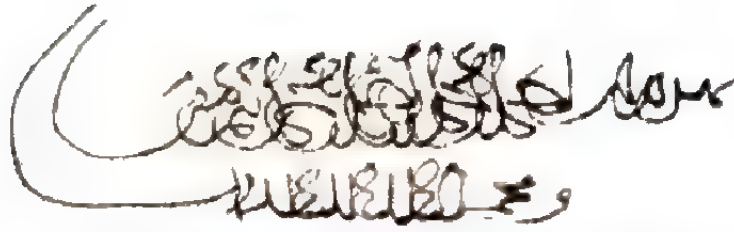
ومما لا شك فيه، فإن الرفاعي انطلق في وصفه من الخط المبسوط الذي تفرع عنه المجوهر، هذا الأخير الذي ظهرت فيه تركيبات جديدة للحروف خلال العصر العلوي، حيث أضحى الحرف الواحد يتمتع بعدة صور، تتنوع بين ماهو محقق، وماهو مدغم، وماهو مُحَوَّر، وماهو مختزل.. إلى غير ذلك من الصور المبتكرة. وقد حاول الباحث الهولندي (boogert) جمع بعض من تلك الصور المعيارية التي استخرجها من مخطوطات علوية مختلفة، ثم نشرها مرفقة في بحثه: **Some notes on maghribi script**¹⁵⁸. وقد اجتهدت في جمعها من جديد، ثم قمت بعد ذلك بإعادة ترتيبها، وبالتالي إخراجها في لوحة واحدة مرفقة ببعض التعليقات المفسرة (انظر شكل: 7).

¹⁵⁷ - الرفاعي، بظم لآلى السط، ص: 182

¹⁵⁸ - N van den Boogert, 'Some notes on Maghribi script', in Manuscripts of the Middle East, vol 4, Leiden, 1989, pp. 30-43

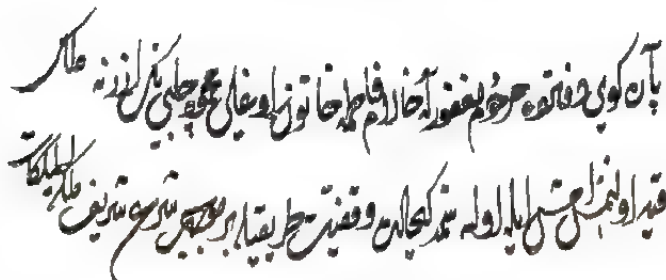
69

ومسألة التواء الحروف وتداخلها، لاحظناه على وجه الخصوص في الرسوم الطغرانية خلال العصر السعدي، حيث كان يتم تركيب حروفها في بعض الأحيان تركيباً متاهياً ومتناهِياً، يصعب معه تحديد بداية الكتابة من نهايتها¹⁵⁹، ونلاحظه أيضاً من خلال الإمضاءات والتوقيعات الوقفية، وللاستدلال على ذلك، نسوق مقطعاً مستخرجاً من وقفية مصحف كتب سنة: 705هـ/1305م برسم خزانة السلطان أبي يعقوب يوسف المريني، وأعيد تحبيسه سنة: 900هـ/1494م على الجامع الأعظم بتونس كم ورد ذلك في نص الوقفية، وموطن الشاهد عندنا: توقيعان عدليان بخط مجوهر أحرفه ملتوية بشكل ثعباني، على شاكلة الديواني المشرقي - العثماني؛ ذيلت بهما الوقفية، وهما مكتوبان على هامش إحدى الصفحات المزخرفة للمصنف (انظر شكل: 8).



توقيعان عدليان بخط مجوهر، أحرفه ملتوية بشكل ثعباني على غرار الديواني المشرقي - العثماني، ذيلت بهما الوقفية، وهما مكتوبان على هامش إحدى الصفحات المزخرفة للمصنف الذي كتب سنة: 705هـ/1305م، برسم خزانة السلطان أبي يعقوب يوسف المريني
شكل: 8

وحتى نبرز مقارنة هذين التوقيعين - من حيث بنيتهما الخطية - بالديواني المشرقي، أينا إلا أن نقوم باستخراج أنموذج قديم للديواني (المشرقي- العثماني) من "فرمان" للسلطان محمد الثاني (854 - 885 هـ/ 1451 - 1481م). (انظر شكل: 9).



أنموذج للديواني القديم، استخرجناه من "فرمان" للسلطان محمد الثاني (854 - 885 هـ/ 1451 - 1481م)
شكل: 9

¹⁵⁹ انظر: محمد عبد الحفيظ حبطة، مرجع سابق، مبحث الطغراء: جذورها التاريخية وتطورها خلال العصر السعدي، صص: 392 - 409

ورغم أن الهامش الزمني بين الأنموذجين المغربي والمشرقي، يتجاوز قرناً من الزمان ونصف القرن، إلا أن المقارنة تعطينا بعض الارتسامات الأولية عن الخطوط الثعبانية في كل من المشرق والمغرب، كما تدل على أن الخط المجوهر في المغرب يقابله الخط الديواني في المشرق، بدليل أن كلا منهما خصص لتحرير الوثائق السلطانية¹⁶⁰.

ولا أدل على ذلك - في هذا المضمار - من توقيع سعدي متوج بالحمدلة والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم، استخرجناه من رسالة لآخر سلاطين السعديين، ألا وهو: عبد الله "الواثق" بن محمد؛ أرسلها إلى هولندا بتاريخ: 11 ذو القعدة من سنة: 1068هـ/1658 غشت سنة: 1658¹⁶¹. وكما يلاحظ من خلال هذا التوقيع، فإن السلطان السعدي قد أخرجه بخط مجوهر - جليل (أوجلي على تعبير المشاركة)، بل وعمد إلى ملئ فراغاته بالتشكيلات الإعرابية والزخرفية على غرار الديواني الجلي - المشرقي، وإذا حرصنا على استحضار مبدأ التزامن التاريخي، وقارنا هذا الأنموذج المجوهر الجليل، بأنموذج ديواني جلي مشرقى يزامه، فسوف نكتشف إبداع هذا لسلطان في إخراج هذا النوع من الخط (انظر شكل: 10).



توقيع لعبد الله "الواثق" بن محمد السعدي، متوج بالحمدلة والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو بخط مجوهر جليل - سعدي. استخرجناه من رسالة له إلى هولندا بتاريخ: 11 ذو القعدة 1068هـ/1658 غشت 1658 شكل: 10

¹⁶⁰ - قمنا بدراسة تاريخية - فنية مفصلة للطعنة بين المشرق والمغرب، من خلال مقارنة الوثائق السلطانية السعدية المحرورة بخط مجوهر ونظيرتها العثمانية المحرورة بالخط الديواني دقيقه وجلي. راجع: أطروحتنا بنيل الدكتوراه. محمد عبد الحفيظ، مرجع سابق، مبحث: "الطغراء: جذورها التاريخية وتطورها خلال العصر السعدي (دراسة مقارنة)"، ج 2، صص: 492 - 567

¹⁶¹ انظر هذه الرسالة عند دوكستري

Castries, Henry de La Croix, Les sources inédites de l'histoire du Maroc. Première série, Dynastie Saadienne (1530-1660) Archives et bibliothèques des Pays-Bas, Paris, Paul Geuthner, 1923 Tome VI P. 457

وفي الوقت الذي واصل الخط الديواني المشرقي - العثماني تطوره بسبب الاستقرار السياسي للدولة العثمانية، توقف - عن ذلك - نظيره المجوهر، بسبب سقوط الدولة السعدية على يد العلويين، حيث قتل السلطان السعدي المذكور (الوائق)، بعد تحريره لرسائله السابقة بما يقارب السنة؛ أي سنة: 1069هـ/1659م. والملاحظ أن المجوهر الدقيق استمر استعماله حتى بعد صعود الدولة العلوية إلى الحكم، وذلك نظرا لارتباطه بتحرير الوثائق السلطانية، الشيء الذي ساهم بشكل أو بآخر في تطوره، بخلاف المجوهر الجليل، الذي اندثرت رسومه، واندرس مرسومه، لأنه - وبكل بساطة - يذكر بسيادة السعديين على بلاد المغرب - بحكم ارتباط استعماله بتوقيعاتهم، ولا سيما رسوماتهم الطغرائية.

ومن باب إحياء الأثر، قام الخطاط المغربي المعاصر: حميد الخربوشي بإعادة بعث هذا القلم الجليل للمجوهر، بعدما عفا عن رسمه الزمان، حيث أكسبه أكثر ما يستطيعه من تجويد وإتقان، وسما به ليقارع الديواني الجلي المشرقي - العثماني الذي يفخر به الأتراك إلى جانب الرقعة، على اعتبار أنهما خطان عثمانيان، وقلمان يرجع الفضل في ظهورهما إلى الأتراك.

وبناء عليه، فإننا لا نجد غضاضة في مقارنة النماذج الخربوشية في المجوهر الجليل، بنظيرتها في الديواني الجلي، حيث أن هذا الخط استطاع بفضل الله ثم بجهود مبدعه، أن يتجاوز بإيقاعه المرن وليونته المتناهية، ليونة الديواني الجلي، كما استطاع أن يحاكي برسو حروفه، وقيام رواياه، جلال الكوفي المصحفي القديم، فجمع بذلك بين النقيضين في بوتقة واحدة، جمع بين التزوي في مواطن معلومة، واللين في مواقع مرسومة، فجعل منهما وجهين لعملة واحدة.. ولإبراز ذلك، نقترح المقارنة التالية بين الخط المجوهر - الجليل الذي أبدعه الأستاذ حميد الخربوشي، والخط الديواني الجلي (القديم) الذي أبدعه العثمانيون، والذي كان خال من النقط التي تستعمل لملئ الفراغات في الديواني الجلي (الحديث)، بينما كان يتميز هو - أي الديواني الجلي القديم - بوضع نقط مستبيرة يفوق حجمها حجم الكتابة، وعادة ما كانت ترسم تلك النقط في الفرمات العثمانية بماء الذهب، حيث تشغل سائر الحيز العلوي للأشرطة الكتابية التي عادة ماكانت تتخذ شكلا سفينيا. (انظر شكل: 11).

وعموما فقد بلغ الخط الديواني الجلي - بصورته (الحديثة) - ذروته مع كل من سامي أفندي (1253 - 1330هـ/1837 - 1911م)، وإسماعيل حقي ألتون بزر الملقب بـ: "طغراکش" (1287 - 1365هـ/1870 - 1946م)، كما نلاحظ ذلك من خلال (الشكل: 12).



لوحة بالديواني الجلي (القديم) مرقومة بالحبر الابيض، أشرطتها الكتابية متوجة من اليمين إلى اليسار
بنقط مستديرة رسمت باللون الأزرق. يعود تاريخ اللوحة إلى سنة: 1075هـ/1664م

المصدر: متحف المتروبوليتان للفنون - نيويورك، رقم: 1986.216.1

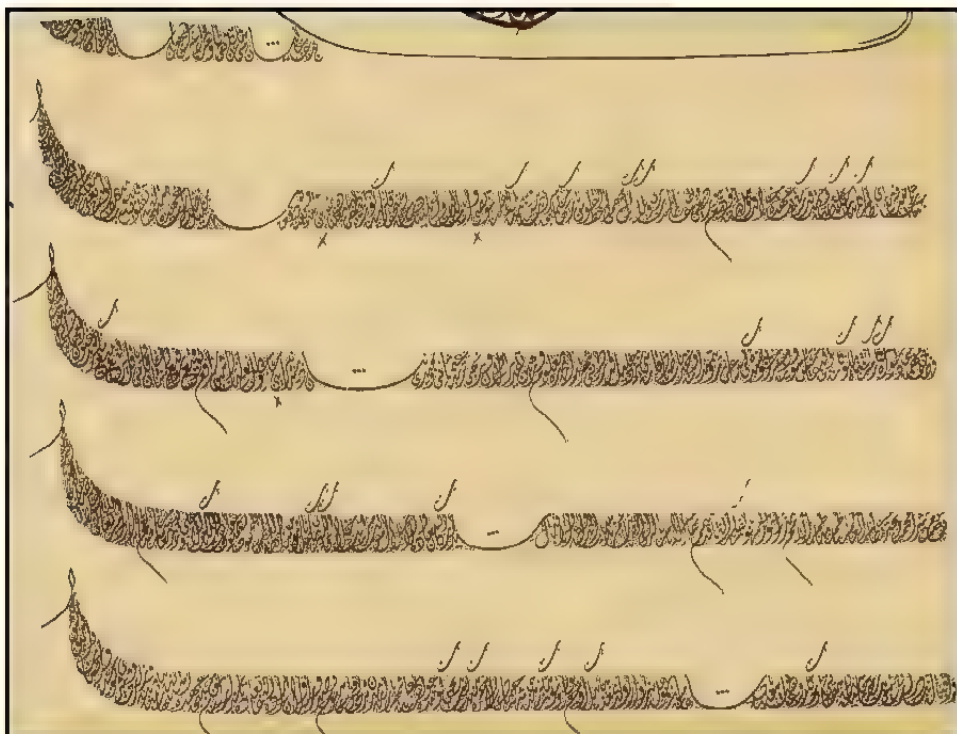
المقارنة بين المجهر الجليل الذي أبدعه الأستاذ حميد الخربوشي

والديواني الجلي الذي أبدعه العثمانيون في طور التثواء (القرن 17)



عملان للخطاط المغربي المعاصر: حميد الخربوشي، يظهران كيف استطاع أن يبدع قلم المجهر الجليل (2009)، ويبيئه من جديد، بعد
انحصار دور شقيقه الدقيق في أعمال التلوين والتحرير، المتطابقة بالكتب العلمية، والمكاتبات الشخصية، والمراسلات السلطانية

شكل: 11



جزء من فرمان بخط سامي أفندي



سطر سفيني بالديواني الجلي (الحديث) بخط سامي أفندي



سطر سفيني بالديواني الجلي (الحديث) بخط إسماعيل حقي ألتون بزر الملقب بـ: "طغراکش"

شكل: 12

5) من خلال انطلاقنا من بعض المصاحف التي درسناها، نستنتج أن صوراً أخرى لبعض الحروف تتسم بالبساطة والاختزال، حيث تستعمل فيها صورة أو صورتين على الأكثر في كل حالات التركيب، وهذه الخاصية أيضاً من إحدى خصائص الخط الكوفي، وقد ذكرت بعض المصادر المشرقية تلك الحروف بمسميات موصوفة كعين (أو وجه) الهر، وأذن الفرس، ومن ذلك ما يذكره ابن الأثير في وصفه للهاء وصورها، حيث يقول¹⁶² :

والهـاء في إفراجه مربع	مثلاث كما بدور يوضع
وركبوا ثمانية للابتداء	ملوزاً و"وجه هر" قد بدا
ملوز بالميم مع "أذن الفرس"	والوجه دال، شق مع بسط ويس

وما دام وصف ابن الأثير يتعلق بالخطوط المشرقية، فإنني أخذت أفكر عن السر في تسمية هذه الحروف بمثل هذه الأسماء التجسدية، خاصة بعدما لم أجد فيما اطلعت عليه من المصادر المؤرخة للخط المشرقي ما يفسرها تفسيراً منطقياً، لذلك حاولت البحث في خصائص مثل هذه الحروف بعد تشريحها، ثم راجعاً فنياً، وبعد تمحيص وتدقيق كبيرين في شكلها وقسماتها الفنية، اهتديت إلى ذلك السر من خلال كتابة الحروف التي تمثل بها ابن الأثير؛ بخط الثلث المشرقي، ثم ركبته بعد ذلك مع الأشكال التي تحيل عليها؛ بخطي ورسمي المتواضعين، ولم ألقأ للرسم - الذي أنأى بنفسه عنه - إلا من باب الشرح والتوضيح (انظر الشكل التالي):



هـاء أذن الفرس بالثلث المشرقي



هـاء عين الهر بالثلث المشرقي

(الحروف والرسوم من إنجاز المؤلف)

¹⁶² - ابن الأثير، الحداية الربانية في الطريقة الشيعانية، ص: 258

وإذا اتخذنا مصحفاً موحدياً نسخ في عهد الناصر الموحيدي (594 - 610هـ/1197 - 1213م) كأنموذج (انظر شكل: 23 في الملحق)¹⁶³، فإننا سنلاحظ أن هاء عين الهر مثلاً: "هـ"، استعملت فيها صورة واحدة في أول ووسط الكلمة، ويلاحظ أنها أشبه ما يكون بهاء خط النسخ المشرقي إلى حد التطابق، كما يتبين من هذه الصورة: "هـ"، التي قمنا باستخراجها من إحدى لوحات ياقوت المستعصمي المتوفى سنة: 698هـ/1298م، وذلك حتى تكون المقارنة منطقية بينها وبين الهاء التي اقتبسناها من المصحف المغربي المذكور، والذي يرجع تاريخه إلى سنة: 597هـ/1200م، ولعل الفارق الزمني بين صورتين: حرف الهاء المغربية والهاء المشرقية، يؤكد - إلى حد ما - أن المغاربة سارعوا إلى تلطيف أشكال الحروف اللينة، بحيث لو حاولنا المقارنة بينهما لوجدنا صورة الهاء المغربية أكثر إيقاناً وحسناً، رغم كونها قد رسمت قبل صورة الهاء التي رسمها ياقوت بما يربو على قرن من الزمان، وهي أشبه ما يكون: "بعين الهر" على حد تسمية المشاركة.

إن حرف الهاء الذي اتخذناه أنموذجاً، لم يرسم دائماً بصورته المحققة - التي تمثلها عين الهر - والتي عادة ما تستعمل في حالة الابتداء، بل وقفنا على استعمال صور أخرى لهذا الحرف في بعض المصاحف، كما هو الشأن بالنسبة لمصحف أبي سعيد عثمان بن يعقوب المريني، حيث استعملت في وسط الكلمة صور مختلفة للهاء؛ مطبوعة بطابع الاختزال، كـ: "هاء أذن الفرس": "هـ" مثلاً، و "هاء قرن الغزال" القريبة منها، والتي استعملت بشكل كبير في بعض المصاحف السعدية، حيث تتميز بكونها تتألف من جزأين تفصيليين: حلقة كحلقة الميم، موصولة بقرن مقوس إلى جهة اليمين، وتكون الحلقة الميمية كما نلاحظه من خلال مصحف الغالب السعدي فاغرة تارة: "هـ"، وتارة مطموسة: "هـ"، ولتفسير ما قلناه؛ نفترح شكلاً تركيبياً جمعنا فيه هذه الصور الثلاث (انظر الشكل التالي):

¹⁶³ - قمنا بدراسة هذا المصحف دراسة تاريخية - فنية في أطروحتنا لنيل الدكتوراه. راجع: محمد عبد الحفيظ خبطة، مرجع سابق، صص: 101 - 103



هـاء عين الهر. مقتبسة من
مصحف الناصر الموحدي

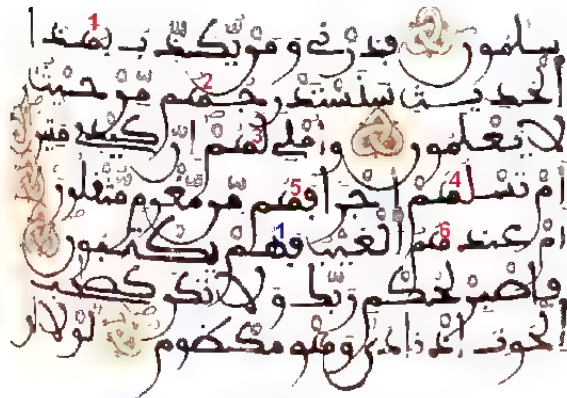


هـاء قرن الغزال. مقتبسة من
مصحف الغالب السعدي

هـاء اذن الفرس. مقتبسة من
مصحف ابي سعيد المريني

حرف الهاء وتفنن الخطاط المغربي في رسمه خلال العصرين:
المريني والسعدي، وفق أنماط تجريدية مستلهمة من الواقع المادي

و الجدير بالذكر؛ أننا وقفنا على استعمال صورة قرن الغزال - على وجه الخصوص - بشكل مكثف في مصحف الغالب السعدي، رغم كونها من الصور قليلة الاستعمال. وللاستدلال على ما قلناه؛ نقترح المقطع التالي الذي استخرجناه من المصحف المذكور، والذي يبين استعمال قرن الغزال سبع مرات، مقابل استعمال عين الهر مرة واحدة فقط:



مقطع من مصحف الغالب السعدي

إضافة إلى ما قلناه، نشير إلى أن بعض الخطاطين، حوروا صورة هاء قرن الغزال، ونخص بالذكر: ابن أبي حمو موسى الثاني الزياني سلطان المغرب الأوسط (الجزائر). الذي أورد هذه الصورة في مصحفه الذي كتبه بخطه في مدينة تلمسان سنة: 801هـ/1398م¹⁶⁴، حيث استعملها في بعض المواضع بدل هاء عين الهر التي تكون عادة في أول الكلمة، وهو ما جعلها تبدو كأحدى صور خط الشكستة أو التعليق الفارسيين (انظر الشكل التالي):



وعموماً فإن الخطاطين المغاربة أبدعوا في رسم هذا الحرف وأعطوه صوراً أخرى مثل الهاء التي استعملها ابن الخطيب في كتابه: "عمل من طب لمن حب"، وهي شبيهة بالهاء المستخدمة في الخطوط المشرقية، وتسمى الهاء المشقوقة المدغمة (انظر الشكل التالي):



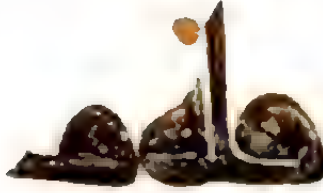
واستعمل الخطاطون أيضاً حرف الهاء في حالة التطرف بصور متعددة، جمعنا بعضها في الشكل التالي¹⁶⁵:



¹⁶⁴ قلنا بدراسة هذا المصنف دراسة تاريخية. فنية في أطروحتنا لدبل الدكتوراه. وهو محفوظ في المكتبة الوطنية بالرباط تحت رقم: د. 1330، ضمن ملف يحتوي على قطع قرآنية مختلفة مكتوبة على الرق. راجع: محمد عبد الحفيظ خبطة، مرجع سابق، صص: 237 - 243.

¹⁶⁵ - محمد عبد الحفيظ خبطة، مرجع سابق، ص: 794.

ومن من باب المقارنة التاريخية، نشير إلى أن هذا التعدد في صور الهاء في الخط المبسوط؛ هو وليد العصر المريني - السعدي، بدليل أننا لم نجد خلال دراستنا لبعض المصاحف الأندلسية سوى صورتين أو ثلاث صور على الأكثر، تستعمل في رسم الهاء حسب اختلاف مواقعها في التركيب، بل إننا لم نجد في الخط الكوفي القديم سوى صورة واحدة كانت تستعمل في البداية في جميع حالات التركيب، ألا وهي الصورة المحلقة التي لا تستخدم في المبسوط إلا في حالة الإفراد، ولتعزيز هذا الطرح نقترح الكلمة التالية: "فلهم". التي استخرجناها من مصحف يعود إلى القرن الثالث الهجري كتب بخط المشق (انظر شكل: 17 في الملحق)⁶⁶:



6) نلاحظ وجود بعض التصرفات الشائعة في الخط المغربي ومن أهمها: وضع بعض القناطر في غير محلها، مما يتسبب في زيادة حرف على العدد الطبيعي لأحرف كلمة معينة إذا ما نظرنا إلى ذلك من خلال قواعد الحط المنسوب (الخط المشرقي) الذي وضعها الوزير ابن مقلة. فقد كان الخطاطون المغاربة عادة ما يرسمون الياء مقنطرة في كل حالات التركيب، وهذا لا يجوز لأن القنطرة تعبر عن حرف آخر له سن بارز كالتاء أو الباء وما شابههما، حيث يتم إعدام ذلك السن مع حرف الياء المتطرفة (المركبة في آخر الكلمة)، فتظهر صفته على شكل قنطرة تربط بين الحرف الذي قبله وحرف الياء التي بعده. ومن خلال بعض النسخ التي وقفنا عليها، نشير إلى أن أحد المصاحف المرينية - التي نسخت في عهد أول سلاطين بني مريم أبي يوسف يعقوب المريني - تظهر لنا الوجه الصحيح ونقيضه في نفس الكلمة، إذ أننا عثرنا على أنموذج لهذا التصرف الشائع في موضع، وفي موضع آخر عثرنا على نفس الأنموذج، ولكنه مكتوب بصفة صحيحة، وهذا الأنموذج يتمثل في كلمة: "إلى" التي تتكون من ثلاثة أحرف، فمرة كتبها الخطاط على الشكل التالي: الألف، واللام، والألف المقصورة التي لها شكل الياء، حيث لم يقنطرها، وهذا هو الوجه الصحيح، لأنه يعبر عن العدد الطبيعي للأحرف التي تتألف منها هذه الكلمة (انظر الشكل التالي):

¹⁶⁶ - راجع: محمد عبد الحفيظ خبطة، مرجع سابق، ص: 75.



ومرة كتبها على الشكل التالي: الألف، واللام، والقنطرة، ثم الألف المقصورة، وهذا لا يصح، لأن القنطرة هنا تعبر عن السن المدغمة التي قد تكون باء أو تاء أو ياء أو نونا أو حتى حوضا لحرفي: الصاد أو الضاد، على اعتبار أن الحوض يتم اختزاله أثناء التركيب فيعوض بالسن الدال عليه.

وفي هذا المضممار نشير إلى أننا لو اعتبرنا القنطرة المذكورة - جدلا - حرف: "تاء"، لقرأت الكلمة هكذا: "التي"، وليس: "إلى" (انظر الشكل التالي):

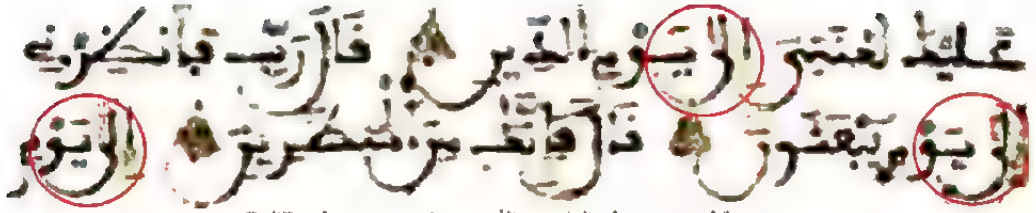


والذي نخلص إليه من خلال هذه المقارنة، هو أن هذا التصرف الشائع في الخط المغربي، لا يزال متداولا إلى اليوم، ولم أقف في المخطوطات التي تفحصتها - حسب حدود علمي - على أنموذج يقدم لنا الوجه الصحيح لكيفية استعمال القناطر، والحالات التي لا يجوز استعمالها فيها، كما لم أعثر كذلك على نماذج تقدم لنا الوجه الصحيح في استعمالها، إلا في بعض المصاحف القليلة.

وحتى نقارن ذلك بالمصاحف السعدية، نشير إلى أنه ومن خلال وقوفنا على مصحف المنصور الذهبي، لاحظنا كتابة هذا الحرف بشكل صحيح كذلك (انظر الشكل التالي):



حيث ورد بنفس الصورة في ثلاث مواضع متجاورة جمعت في سطرين، مما يدل - افتراضا - على علم الخطاط بكيفية تركيب هذا الحرف (انظر الشكل التالي):



مقطع من مصحف المنصور الذهبي يوضح ورود حرف: "إلى" بنفس الصورة في ثلاث مواضع متجاورة جمعت في سطرين

ولنربط خط الوصل بما سبق وفصلنا فيه، سنقوم بمقارنة صورة نفس الحرف من المصحف المريني المذكور بصورة في بعض المصاحف السعدية من خلال الجدول التالي:

المصحف المنصوري	مصحف الأميرة مريم السعدية	مصحف أبي يوسف يعقوب المريني (648هـ)	
		صورة صحيحة	صورة غير صحيحة للحرف
			

مقارنة بين صور متعددة لحرف: "إلى" استخرجناها من ثلاثة مصاحف، أحدها مريني والأخران سعيان والملاحظ أن هذا الأمر كان معلوما عند الخطاطين المغاربة، منذ ما قبل العصر المريني، كما نلاحظ ذلك مثلا من خلال هذه المقاطع التي استخرجناها من مصحف كتبه "المرتضى" سنة: 654هـ/1256م وهو آخر الخلفاء الموحدين (انظر شكل: 24 في الملحق)¹⁶⁷. (انظر أيضا الشكل التالي):

¹⁶⁷ - قفينا بدراسة هذا المصحف دراسة تاريخية - فنية في أطروحتنا لنيل الدكتوراه. راجع: محمد عبد الحفيظ خبطة، مرجع سابق، صص. 103 - 117



مقاطع مستخرجة من من مصحف كتبه "المرتضى" الموحدي سنة: 654هـ/1256م.

وحتى لا يكون حكمنا حكما متسرعا في هذا الشأن، نشير إلى أن الخطاط المغربي ربما كان يلجأ إلى رسم القنطرة أو إهمالها؛ للتمييز بين الياء والألف المقصورة في حالة التطرف، نفس الأمر يمكن قوله عن رسمها سيفية (راجعة) أو نونية (محققة)، ولا شك أن هذا التصرف يتعلق بكون الياء المتطرفة ترسم عند المغاربة مهملة غير معجمة، على غرار الألف المقصورة، وهذا من شأنه أن يوقع القارئ والمتلقي في الالتباس، من هنا كان وضع القنطرة أو إهمالها، ورسم هذا الحرف بصورة سيفية أونونية، هو العلامة الفارقة، والسمة المميزة، التي تميز الياء عن الألف المقصورة، ولا غرو أن هذا الحرص في التمييز بين رسم الحروف، كان يُرجى من ورثته عدم وقوع المتلقي أو القارئ في اللحن، سيما في قراءة القرآن الكريم. الذي ينبغي كتابته بأيسر الأساليب الخطية.

(7) من التصرفات الشائعة أيضا في الخط المغربي أن ترسم الصاد بغير سن، في أول ووسط الكلمة؛ كما تدل على ذلك الصورة التالية التي استخرجناها من مصحف أبي يوسف يعقوب:



لا وجود للسن رغم صحة الكيفية التي يبدأ بها الحرف أثناء كتابته.

ومرد ذلك - على ما يبدو - يرجع إلى طبيعة الخط المغربي الذي لا تقبل حروفه التنازل لبعضها، حيث يستقل كل حرف بصورته إفراداً وتركيباً، شأنه في ذلك شأن الخط الكوفي الذي انبثقت منه معظم الخطوط المغربية اللينة، وسيما صور المبسوط، وهذا يخالف طبيعة الخطوط المشرقية التي يتنازل بعضها لبعض بحسب موقعها في التركيب، حيث أن صفتي: الاستقواء والاستضعاف، تعد من الأبجديات الأساسية، والمركزات البنائية في تركيبات واتصالات حروف الخط المشرقي... ولعل هذا ما يفسر ظهور الأحرف المستعيلة والأحرف المستعيلة - على غرار قواعد تجويد القرآن الكريم - بشكل أكبر في الخط المشرقي منه في الخط المغربي.

لكن على الرغم مما قلناه، نشير إلى أننا قد وجدنا بعض الصور التي أضيف إليها في حالة التركيب سن جهة اليسار، وهو متجه إلى الأسفل على عكس القاعدة المشرقية، التي يكون متجهاً فيها إلى أعلى، وهذا السن في الحقيقة هو صفة حوض الصاد المقبتس من النون، فهو يعبر عن حوض الصاد أثناء التركيب في حالتي الابتداء والنوسط (أول ووسط الكلمة)، تماماً كما يعبر عن النون أثناء نفس الحالات التركيبية، وهذا هو السر في عدم وجود ذلك السن أثناء تركيب الطاء في أول ووسط الكلمة، رغم أنها تتوفر على نفس البدن الذي تتوفر عليه الصاد، لأن الطاء - وبكل بساطة - لا تتوفر في حالة الأفراد على حوض النون الذي تتوفر عليه الصاد، فكان وجود السن فيها تصرفاً لا مبرر له، كما أن عدم وجوده في الصاد أيضاً تصرف لا مبرر له، وقد تم التعبير عن السن في بعض المصاحف بشكل رمزي، يحلينا على كيفية بداية حرف الصاد عند بعض الخطاطين، الذين كانوا يقومون برسم ضلعه السفلي المستوي أولاً من اليسار في اتجاه اليمين، ثم يخلقونه في اتجاه اليسار، مما ساهم في خلق فجوة صغيرة تعبر عن رتق غير كامل لبدن الحرف، كما تعبر عن السن لأنها تشكل صورته دون نتوء، وتدل على ذلك الصورة التالية التي استخرجناها من مصحف أبي يعقوب يوسف المريني:



موضع الرتق الذي يشكل فجوة على شكل سن غير ناتئ

وجود سن غير ناتئ تعبر عنه الفجوة الصغيرة، متجه إلى أعلى رغم عدم صحة الكيفية التي يبدأ بها الحرف أثناء كتابته.

وما ذكرناه يختلف عن الخط المشرقي الذي تكون فيه صورة الصاد المركبة في أول ووسط الكلمة، مقترنة بسن بارز متجه برأسه إلى أعلى، فضلا عن أن الحرف دائما ما يبدأ في كتابته من اليمين (انظر الشكل التالي):



سن نأتى متجه إلى أعلى (مقتبسة من خط ياقوت المستعصي).

هذا ونشير إلى أننا وجدنا في بعض المخطوطات، صورة للصاد أشبه ما يكون بالصورة المشرقية، ونخص بالذكر مخطوط: "عمل من طب لمن حب" لائن الخطيب، الذي ألفه صاحبه برسم خزانة السلطان أبي سالم بن أبي الحسن المريني سنة: 760هـ/1358م (انظر الشكل التالي):



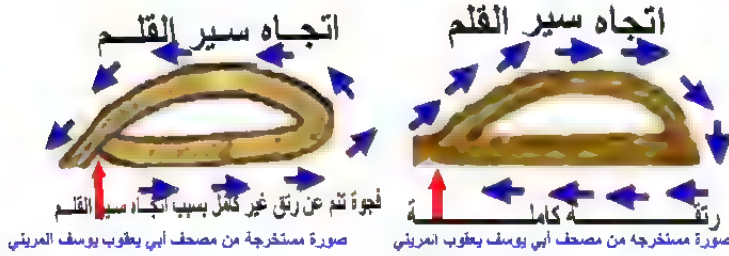
سن نأتى متجه إلى أعلى (مقتبسة من خط لسان الدين ابن الخطيب).

ولا شك أن الطريقة التي ترسم بها الصاد، تعطينا فكرة عن كيفية معرفة حركة سير القلم واتجاهه عند الكتابة، ومن أين تبدأ كتابة الحروف وإلى أين تنتهي، وقد أشار عبد العزيز الكرسيفي إلى هذا الأمر حين اشترط على المؤدب عند تعليمه للطالب: "أن يلقنه هيئة الجلوس وكيفية قبض القلم واللوح، وأن الحرف يبتدئ في وضعه من أمامه أو من أعلاه لا من خلفه أو أسفله، وكيف يرقص، وأين يوضع من السطر وأين ينتهي، وكيف يصلح الخط"¹⁶⁸.

وإذا أردنا أن نسجل بعض ملاحظاتنا حول هذه المسألة، نشير إلى أن حرف الصاد مثلا يرسم في الخط المبسوط محدبا على الطريقة المغربية، لكن الاختلاف الذي لاحظناه، هو مسألة سير القلم في كيفية رسم بدنه، حيث يظهر من خلال مصحف أبي يعقوب يوسف، أن الخطاط قد بدأ برسم ضلعه السفلي المسوي أولاً؛ من اليسار في اتجاه اليمين، ثم حلقه في اتجاه اليسار، مما خلق فجوة صغيرة، تتم عن رتق غير كامل لبدن الحرف كما قلناه آنفاً، وهذا على غير عادة الخطاطين المغاربة، الذين غالباً ما يبدؤون بدن هذا الحرف؛ برسم ضلعه العلوي المحذب أولاً،

¹⁶⁸ - الكرسيفي، الموثقات الفقهية الكاملة، ص. 72

من اليمين في اتجاه اليسار، ثم يخلّفونه رجو عا بضلعه السفلي في اتجاه اليمين، فيتم التحكم في التقاء الضلعين، مما يجعل الرنق كاملاً، كما نلاحظ ذلك من خلال مصحف أبي يوسف يعقوب المريني (انظر الشكل التالي):



والرأي عندي، أن ترسم الصاد كما رسمت في مصحف ابن أبي حمو موسى الثاني الزباني، لأن شكلها هو الصورة الفنية الصحيحة التي يجب الأخذ بها، بناء على ما فسرناه سابقاً، حيث إن السن - الذي يعبر عن الحوض - يبدو في هذه الصورة المقتبسة من المصحف المذكور بشكل واضح صريح على الطريقة الأندلسية - المغربية (انظر الشكل التالي):



سن نأتى إلى أسفل على الطريقة الأندلسية - المغربية.

وللإشارة، فإن طريقة الكتابة هذه تمتد جذورها إلى الخط الكوفي القديم وخاصة: "المشق" الذي ورث عنه الخط الأندلسي اللين معظم صورته، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن المغاربة لم يتحرروا في خطهم خلال العصرين المريني والسعدي من صور الخط الأندلسي نهائياً، وما دمنا نتكلم عن بدن الصاد، نشير إلى أنها كانت ترسم في خط المشق والخط الأندلسي المتأثر به بشكل مستو يطبعه الامتداد الأفقي، كما نلاحظه من خلال الشكل التالي:



مقتبسة من مصحف مكتوب بخط المشق



مقتبسة من مصحف مكتوب بالخط الأندلسي

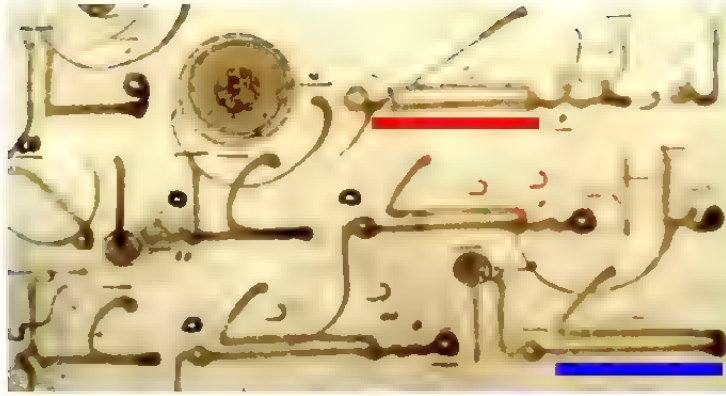
والغريب في الأمر أن نجد مصاحف ترجع إلى العصر السعدي، استعملت فيها صورتان معا (المستوية والمحدبة) في كتابة الصاد، ونخص بالذكر: مصحف الغالب السعدي (انظر المقطع التالي):

عَالِدٌ فِي هَلِكِ أَيْرِجْ ¹ صَرْصَ عَاتِيَةِ ²
تَخْرُجُ عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَمَكْنِيَةِ أَيَّامٍ
خُسُومًا فَخَرَّ الْغُومَ فِيهَا ¹ كَرَعَى كَانَهُمْ

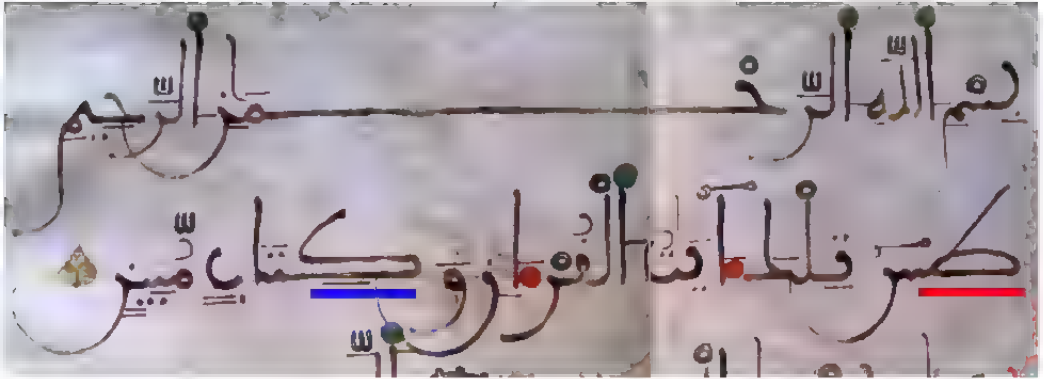
وما قلناه عن بدن الصاد نقوله أيضا عن بدن الطاء، حيث لا يوجد من اختلاف بينهما في الخط الأندلسي المتأثر بالمشق، إلا فيما يتعلق بالرقبة التي تتميز بها الطاء، وقد كانت ترسم تلك الرقبة على شكل صلع مائل إلى جهة اليمين، مقتبس من الكاف الزنادية، بينما كان يرسم بدن الطاء بشكل مستطيل يشابه فيه ضلعي الكاف المتوازيين، ولا يختلف عنها إلا في الرقبة التي تنقل بها الطاء من جهة اليسار، مما يجعلها مقفلة من الجانبين بخلاف الكاف التي لا تنقل إلا من جهة اليمين. (انظر المقارنة التالية):



وقد ظلت الصورة المستوية للطاء مستعملة على غرار الصاد في بعض المصاحف المرينية والسعدية؛ كما نلاحظه من خلال مقطع استخرجناه من مصحف مريني، حيث يجمع بين الكاف الزنادية والطاء المستوية المشتقة منها (انظر الشكل التالي):

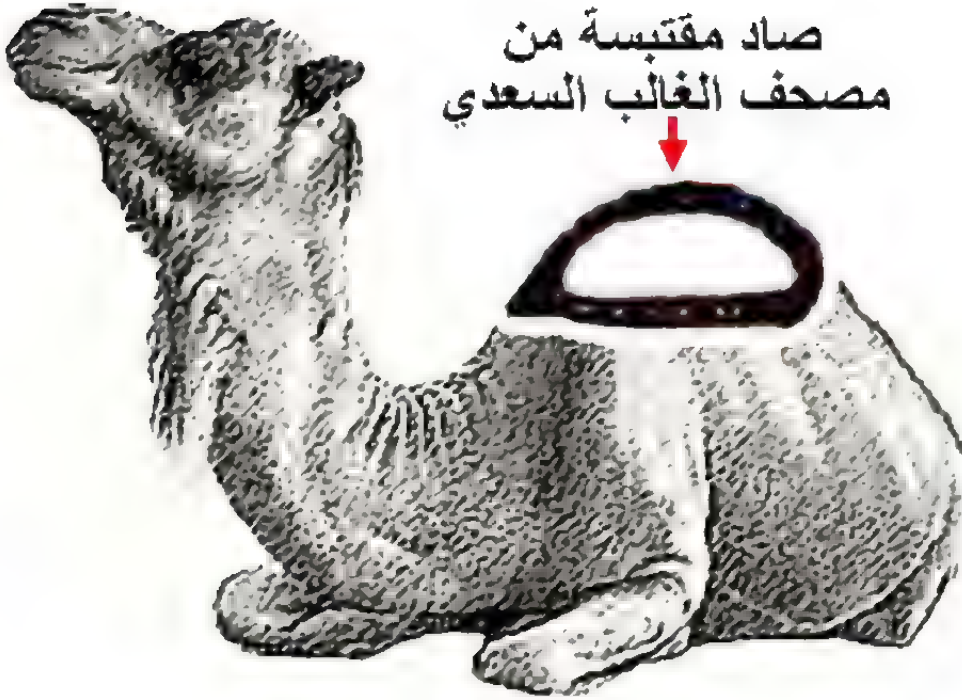


ويعزى تخلي الخطاطين تدريجيا عن هذه الصورة في رسم الطاء، واحتفاظهم بها في الكاف الزنادية في العصور المتأخرة، ربما إلى تقادي وقوع اللبس بين الصورتين في القراءة، سيما إن اجتمعتا في موضع واحد كما لاحظناه من خلال المقطع السابق، وفيما يلي مقطع من مصحف مريني، رسمت فيه الطاء محدبة بينما رسمت الكاف الزنادية بشكلها المألوف، وهو الشكل الذي مايزال مستعملا إلى اليوم في الخط المبسوط:

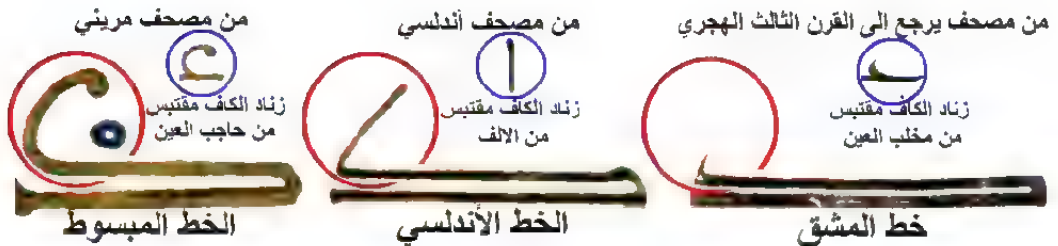


وعموما يمكن القول: إن الصورة المحدبة للصاد والطاء المشتقة منها، هي التي ستُستعمل بصفة كبيرة في الخط المبسوط ليتعارف على كتابتها الخطاطون، فتصبح الصورة الوحيدة المستعملة إلى اليوم، وهي تشبه في شكلها سنام الجمل، لذلك ارتأينا أن نسميها: "بالصاد السنامية"، وقد استخرجنا صورتها من مصحف الغالب السعدي، ثم استعملناها في تصميم الشكل التالي:

صاد مقتبسة من مصحف الغائب السعدي



ومن خلال مقارنة الحرفين السابقين بالكاف الزنادية، نشير إلى أن هذا الحرف يعد من الأحرف التي ظلت تقريبا على صورتها التي كانت ترسم وفقها في كل من خط المشق والخط الأندلسي، ولم يداخلها تحوير في الخط المبسوط إلا فيما يتعلق بالرقبة التي أصبحت مقوسة في اتجاه اليمين على شكل حاجب حرف العين، بعدما كانت مائلة في شبه استقامة إلى نفس الاتجاه في الخط الأندلسي:



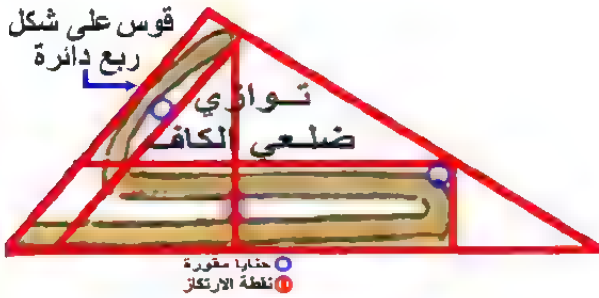
وللتذكير، فإن بدن الكاف الزنادية يتكون من ضلعين متوازيين؛ *الضلع السفلي: وهو جزء من الكشيذة التي تنظم باقي الحروف، و*الضلع العلوي: وهو الذي يشكل ما تبقى من بدنها، وذلك بتحليقه مع ضلع الكشيذة من جهة اليمين بتعريقة راتقة، وبقدر استطالة هذا

الحرف، بقدر التصاقه بالكشيدة التصاقا يفرضه قانون التوازي، وبقدر التصاقه بالكشيدة، بقدر ارتباطه بالشكل الذي كانت عليه في الخط الكوفي.

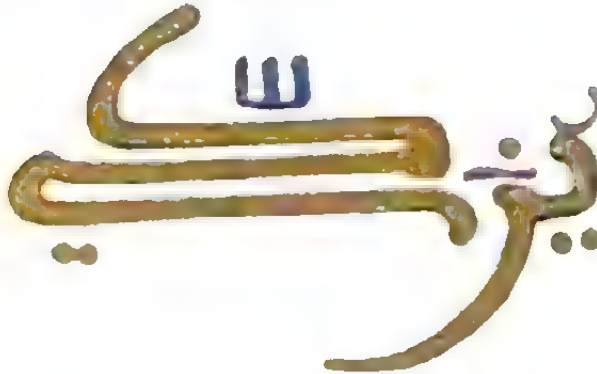
وقد حدد الرفاعي أبعادها حين قال¹⁶⁹ :

والكاف فوق السطر خط انتالف به مواز له طولاه ألف
متصلا بقوس ربع دائرية تحيط لليسرى وقيت الدائرة

ومن أروع الصور التي وقفنا عليها للكاف الزنادية في الخط المبسوط ، صورة استخرجناها من مصحف أبي يعقوب يوسف المريني، وجمال هذه الصورة راجع إلى طول نفس الخطاط في إرسالها دون الإخلال بقانون التوازي بين الضلعين المكونين لها (انظر الشكل التالي):



وقد كان الخطاط الذي نسخ هذا المصحف، يجيد الحفاظ على قانون التوازي وإن كثرت مستوياته في الكلمة الواحدة، ونستدل في ذلك بكلمة: "يزكي" التي خلق فيها مستويين متوازيين بشكل تماثلي بديع بين ضلعي الكاف الزنادية والياء السيفية (الراجعة). (انظر الشكل التالي):



وكما فعلنا ذلك في بعض صور الحروف السابقة، فإننا وظفنا بدن الكاف الزنادية في رسم فك قاطور ، وهو أحد أنواع التماسيح، فأنت متناسقة معه إلى حد كبير (انظر الشكل التالي):

¹⁶⁹ - الرفاعي، نظم لأبن السمط ، ص: 180



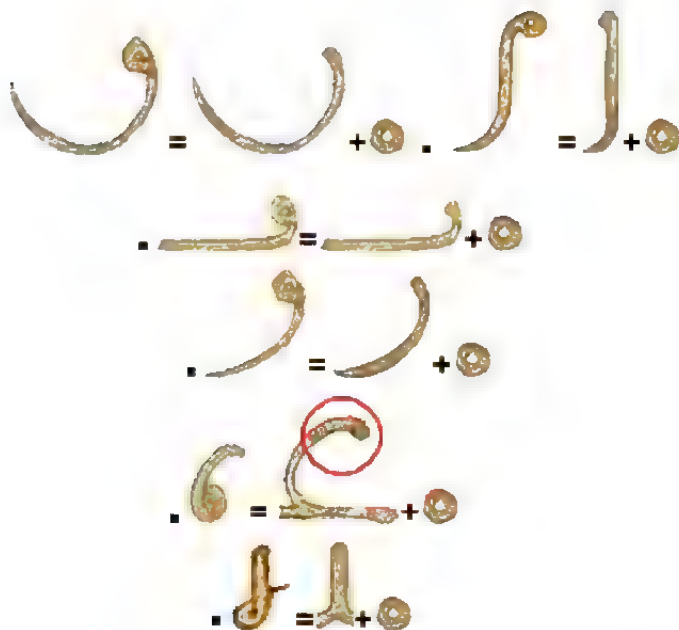
كاف زنادية مقتبسة من مصحف
أبي يعقوب يوسف المريني

وإذا كانت الكاف الزنادية من صور الخط الكوفي القديم، التي ما تزال حاضرة في الخط المبسوط، فإن استعمالها كان محصورا في حالات تركيبية معينة؛ هي حالة الابتداء والتوسط، أما في حالة التطرف، فقد كانت تستعمل صورة أخرى للكاف هي الصورة السيفية أو الكاف الدالية، وسميها بهذا الاسم؛ لأن ضلعها العلوي مشتق من حرف الألف الذي يشبه نصل السيف، كما سميها بالدالية أيضا لأن قاعدتها مشتقة من صورة حرف الدال بكامل تفاصيله (انظر الشكل التالي):



8) الحلقات: وهي من الأشكال المهمة في الخط المغربي، تختلف صورتها بين الخط المبسوط والخط المجوهر، فهي فاعرة في الأول، مطموسة في الثاني، وغالبا ما كانت تضاف لها عناصر فنية مشتقة من أحرف معلومة، لتشكيل أحرف أخرى، فهذا أضيف لها حرف الراء صارت واوا، وإذا أضيف لها حرف النون صارت قافا، وإذا أضيف لها حرف الباء صارت فاء، وإذا أضيف لها حرف الألف المحور أو اللام المجزوة صارت ميماء.. وهناك اشتقاقات أخرى فرعية لا يسعنا في هذا المقام، الإتيان على ذكرها كلها. وكيفما كان الحال، فإن هذا الشكل الفني يدل أكثر من غيره على أن الحروف في الخط المغربي يُشتق بعضها من بعض،

ولتفسير ما قلناه نقترح الشكل التالي الذي استخرجنا حروفه من مصحف مريني كتب بماء الذهب في عهد أبي يعقوب يوسف بن يعقوب:



وقد اهتم الخطاطون بالحلقات بشكل كبير، حيث كانوا يتفننون في رسمها منذ البدايات الأولى للخط في المغرب، متأثرين في رسمها ببعض أشكال الطيور، وخاصة في الخط الكوفي القديم، ونستدل في هذا المضمار بحلقة ميم اقتبسناها من عبارة: "وسلم تسليما"، كتبت بخط كوفي مغربي مرسل (مشق)، وردت في مخطوط: "محاذي الموطأ" لمحمد ابن ثومرت (انظر شكل: 34 في الملحق)¹⁷⁰. (انظر أيضا الشكل التالي):

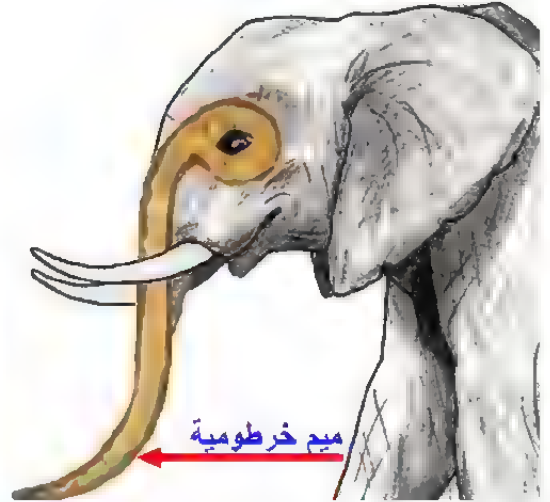


¹⁷⁰ - قمنا بدراسة هذا المخطوط دراسة تاريخية - فنية في أطروحت لنيل الدكتوراه راجع: محمد عبد الحفيظ خبطة، مرجع سابق، صص. 128 - 136

والملاحظ أن حلقة الميم - في حالة التطرف - تتصل في الخط المبسوط بذنب ينتهي بتعريفه متجهة نحو اليسار، على عكس تعريفته المتجهة نحو اليمين في الخط المجوهر. ولتفسير ما قلناه، نقترح الشكل التالي الذي قارنا من خلاله بين الميم التي يكون شكلها خرطوميا في الخط المبسوط، والميم التي يكون شكلها منقاريا في الخط المجوهر كما رسمها ابن خلدون (انظر شكل: 36 في الملحق)¹⁷¹:

مقتبسة من إجازة علمية كتبها
ابن خلدون بخط مجوهر

مقتبسة من مصحف كتب بخط مبسوط
في عهد أبي يعقوب يوسف المريني



وقد رسمها ابن الخطيب - في حالة التطرف - منقارية على غرار ابن خلدون، لأنه حرر كتابه: "عمل من طب لمن حب"، بنفس الخط الذي حرر به ابن خلدون إجازته، ألا وهو: الخط المجوهر، فركبها تركيباً فريداً مع السين المدغمة واللام في كلمة: "وسلم"، مما جعلها تشبه إلى حد كبير الكيفية التي ترسم بها حروف الخط الديواني المشرقي (انظر الشكل التالي):

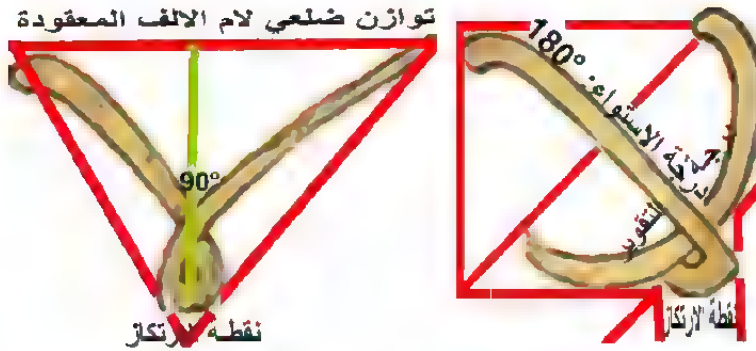
وَسَلِمَ

¹⁷¹ - قمنا بدراسة هذا المخطوط دراسة تاريخية - فنية في أطروحت لنيل الدكتوراه راجع: محمد عبد الحفيظ خبطة، مرجع سابق، صص. 349 - 358

ورسمها ابن الخطيب أيضا - في حالتي الابتداء والتوسط - وفق الشكل الذي ترسم به في الثلث المغربي، كما نلاحظه من خلال الكلمة التالية:

وَجْهًا

(9) لام الألف: استعملت صورتين اثنتين في كتابتها في حالات الأفراد والتركيب، ومن أروع الصور التي وقفنا عليها للام الألف في الخط المبسوط، صورتين مختلفتين استخرجناهما من مصحف أبي يعقوب يوسف المريني، حيث يبدو من خلالهما التزام الخطاط برسم أضلاعهما وفق مسارات هندسية مثلثية (انظر الشكل التالي):



ونظرا لأهمية لام الألف في الخط المبسوط وغيره من الخطوط، فقد خصص لها الرفاعي - في منظومته - مقطعا مستقلا تحت عنوان: "تقويم لام الألف"، حيث قال في وصفها¹⁷²:

خطان رأساهما قد تفرقا	واقطعنا من أسفل واعتقنا
واجتمعنا فاعجب لقاطعين	مجتمعين متعانقين
وإن لويت رأس كل منهما	به مواز له طوله ألف

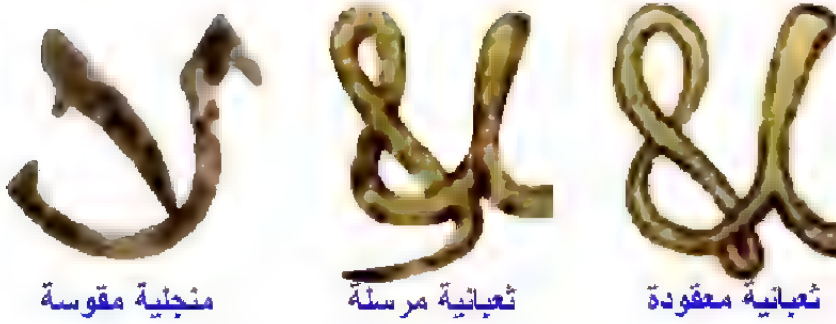
والحقيقة أننا وقفنا على صور متعددة للام الألف في خط الثلث المغربي خلال العصر الموحي، كما نلاحظه من خلال كلمة التوحيد التي استخرجناها من مخطوط: "محاذي الموطأ"، لمحمد بن تومرت، حيث تبدو في إحدى الصور شبيهة بالحرف اللاتيني: "Y" حسب الطريقة التي يكتب بها في (خط: Forte) المستعمل في تحرير النصوص بمصفحات (word)



¹⁷² - الرفاعي، نظم لآلئ البسط، ص: 181

حرف العبد = حرف العبد

ومن أبدع صورها؛ ثلاث صور أخرى عثرنا عليها في نفس المخطوط، وهي صور اجتهدية غير معهودة في الخط المغربي، طوع من خلالها الخطاط حروف الثالث المغربي، وأعطاهم ليونة متناهية تحمل كل ما تستطيعه من إمكانيات جمالية (انظر الشكل التالي):



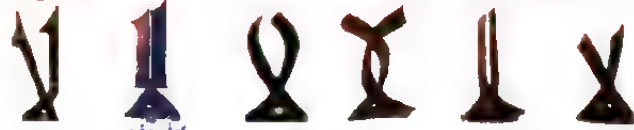
ثلاث صور، مقتبسة من فاتحة مخطوط "محاذي الموطأ"،
لمحمد بن نومرت

وفيما يلي صورة لام الألف الثعبانية، التي استخرجناها من فاتحة: "محاذي الموطأ"، تبدو كثعبان على حقيقته، بعدما حاولنا تجسيده (انظر الشكل التالي):



وللوقوف على القيم الجمالية التي يتصف بها هذا الحرف، نقترح لوحة تجميعية، راكمنا فيها مجموعة من الصور، عثرنا عليها في بعض المصاحف والمخطوطات التي وقفنا عليها (انظر شكل: 13).

لام الألف من خلال بعض المصاحف المكتوبة بالخط الكوفي القديم



كوفي ألماني

كوفي مغربي
المصنف الأندلسي

كوفي قرواني متأخر

كوفي قرواني مبكر

كوفي قديم

لام الألف من خلال بعض المصاحف والمخطوطات الموحدية

صور لام الألف من خلال من مخطوط "مغذي الموطأ"، لمحمد بن تومرت

صور لام الألف من خلال مصحف المرتضى الموحدي



لام الألف من خلال بعض المصاحف المرينية

صورة لام الألف في ربيعة أبي سعيد المريني

صور لام الألف في مصحف أبي يعقوب يوسف المريني

صور لام الألف في مصحف أبي يوسف يعقوب المريني



صورة لام الألف في مصحف ابن أبي حمو موسى الثاني الزياني

صورة لام الألف في ربيعة أبي الحسن المريني



لام الألف من خلال بعض المصاحف السعدية

صورة لام الألف في مصحف المصور السعدي

صورة لام الألف في مصحف الغلاب السعدي

صور لام الألف في مصحف الأميرة مريم السعدية



صور لام الألف من خلال إجازة ابن خلدون لبعض العلماء



صور لام الألف من خلال مخطوط: "عمل من طب لمن حب" لابن الخطيب



صور مختلفة للام الألف، وقفنا عليها في المصاحف والكتب المخطوطة التي درسناها

شكل: 13

في الختام، نشير إلى أننا ولتقييم نتائج دراستنا حول جدلية البعدين: التجريدي والتجسدي في الخط المغربي، أمعنا في إعادة جمع الصور التعبيرية التي أدرجناها سابقا ضمن المتن التحليلي، وذلك حتى نقدمها للمتلقي على شكل لوحة تركيبية معبرة (انظر شكل: 14).



لوحة تركيبية تمثل بعض الصور التجسيدية لحروف وقفنا عليها في بعض
المخطوطات التي قمنا بدراستها

شكل: 14

خلاصات

من خلال المقارنة التي أجريناها بين الخط المشرقي والخط المغربي فيما يتعلق بكيفية رسم الحروف وتركيبها، نشير إلى أن الخط الذي قد يقع فيه بعض الدارسين، هو أنهم وعند قيامهم بالمقارنة بين الخطين، فإنهم قد يقارنون بين خط مغربي لم يتطور بفعل بعض الأسباب السياسية التي عرفها تاريخ المغرب¹⁷³، وبين خط مشرقي تطور بسبب مساهمة مجموعة من الحضارات الإنسانية فيه، فبعد تجويده في بغداد من طرف رموزه المعروفين: ابن مقلة، وابن البواب من بعده، وياقوت المستعصمي من بعدهما، جاءت الدولة العثمانية لتطور ذلك الخط بشكل غير مسبوق من خلال الاستفادة من مدارس أخرى - إلى جانب المدرسة البغدادية - كالمدرسة الفارسية على وجه الخصوص، وقد تم ذلك على يد رموزها كابن الشيخ، والحافظ عثمان، وراقم، وسامي، وعزت، وشوقي وغيرهم.. ومنه يمكن القول أن ما وصل إليه الخط العربي المشرقي اليوم، هو بفصل جهود الدولة العثمانية التي أجرت الأرزاق والعطايا على هؤلاء الخطاطين، وأوعزت إليهم بتأسيس دواوين ومدارس لتعليم الخط.

أما الخط المغربي فقد كان يعيش نفس التجربة - تقريباً - في عهد أحمد المنصور السعدي المزامن لمرحلة أوح الدولة العثمانية، التي كانت تروم بسط نفوذها على بلاد المغرب الأقصى، لكن التجربة المغربية لم تستمر بفعل الأوضاع السياسية المتقلبة لبلاد المغرب، فبعد وفاة المنصور سنة: 1012هـ/1603م، ظهر الصراع بين أبنائه حول الحكم. صراع ازداد حدة بعد ظهور العلويين على مسرح الأحداث، أولئك الذين سירתقون إلى سدة الحكم بعد قضائهم على الدولة السعدية، ليبدأ الخط المغربي مجدداً من نقطة الصفر، وقد أشار الرفاعي إلى أن سبب إقدامه على تأليف قصيدته المعروفة بـ: "نظم لآلئ السمط في حسن تقويم بيع الخط"، هو القصور الكبير في فن الخط ببلاد المغرب خلال العصر العلوي، واختلال صورته، بسبب عزوف الناس عن تجويده والاهتمام به، حيث يقول في ذلك¹⁷⁴ :

وإنني لما رأيت الناسا	قد شربوا من الونى أكواسا
وقصرت همهم وما اعتنى	بالخط منهم أحد وما اقتنى
وهجروا سره دون عذر	ونبذوه من وراء ظهر
وأعرضوا كل الإعراض عنه	وماروا مما رويت منه
حتى غدا بغيرنا مفقودا	وكاد لم يكن به موجودا

¹⁷³ - أهمها تعاقب دور المغرب وقصر أعمارها، وكذا محور تجارب الدواوين المدروسة من طرف الدول القائمة على أنقاضها كما فعل الموحدون بالإرث المرابطي.

¹⁷⁴ - الرفاعي، نظم لآلئ السمط، ص 175

قمت لذا نظمت فيه أرجزة
سميتها: "نظم لئالي السمط
قريبة ألفاظها وموجزة
في حسن تقويم بديع الخط

ويشير الرفاعي في كتابه: "حلية الكتاب" إلى أنه استلهم ذلك من شهادة لشيحه: عمر بن المكي الذي يذكر أن الناس في أواخر العصر العلوي أصبحوا: "لايعتبرون جودة الخط وإتقان صور حروفه، من بسطها وفتحها وتبريزها، سيما كتابة المصحف المطلوب من كاتبه تجويده ليحصل له الأجر العائد عليه بعد القطع.. وأصناف الكتابة [التي ينبغي تجويدها] خمسة. الأول: كاتب المصحف الكريم. الثاني: كاتب الحديث الشريف. الثالث: كاتب علم الشريعة. الرابع: مؤدب أولاد المومنين. الخامس: كاتب الرسائل"¹⁷⁵.

وبهذا يمكن القول أن المقارنة بين الخط المغربي والخط المشرقي معادلة غير صحيحة، لأنها تكون بين خط مغربي (صور حروفه الفنية ظهرت وتبلورت منذ العصر الموحد، وبقيت تقريبا على حالها إلى اليوم مع بعض التغييرات الطفيفة). وخط مشرقى (صور حروفه الفنية تدرجت في مدارج الكمال، فهي حديثة ولا علاقة لها بتلك الصور التي كانت مزمنة لصور الخط المغربي الذي لم يتطور بنفس الوتيرة).

من خلال ما قلناه إن، ندرك أن اللبس الذي سقط فيه بعض الباحثين، وخاصة المشاركة منهم الذين لم يطلعوا بما فيه الكفاية على الخط المغربي وظروف تطوره التاريخية، بقدر ما اطلعنا نحن على خطوطهم وأصنافها.. ومع ذلك لم يجدوا أية غضاضة في مقارنة الخط المغربي - المقتبسة صورته من بعض المخطوطات المغربية التي قد يعود تاريخها إلى أكثر من سبعة أو ثمانية قرون - مع خط مشرقى صورته مقتبسة من لوحة خطية حديثة كتبها: "مصطفى راقم"، أو "سامي أفندي"، وربما "موسى عزمي" (حامد الأمدي)، وغيرهم من الخطاطين الأتراك المجيدين، متناسين بذلك الهامش الزمني الكبير الذي يحول دون إجراء هذه المقارنة، التي - أقل ما يمكن قوله عنها - هو أنها مقارنة باطلة يحكمها الإسقاط التاريخي المجرد. وهذا يلاحظ على سبيل المثال من خلال بعض كاتالوجات المسابقات الدولية التي تجريها المنظمة الإسلامية (إرسিকা: IRCICA)، حيث تقارن فيها بين الخط المغربي (القديم) والخط المشرقي (الحديث).

¹⁷⁵ - الرفاعي، حلية الكتاب، ص 21.

ملحق يتضمن بعض المصاحف والمخطوطات
الموظفة في التحليل الفني



صفحة من مصحف الأمير الزيري: "المعز بن باديس"، نسخ على رق بني
سنة: 1019/410م، بخط كوفي قديم على طريقة أبي الأسود الدؤلي
المصدر: متحف الفنون الإسلامية، رقادة (القيروان)، رقم: Rutbi 58
شكل: 15

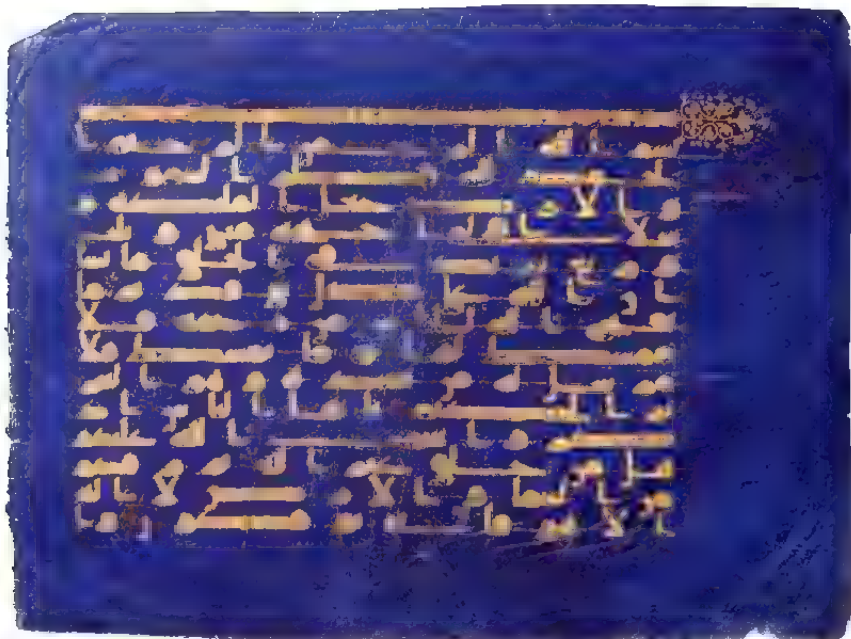


صفحة من مصحف نسخ سنة: 1022/413م، على رق أبيض، بخط كوفي قديم
على طريقة أبي الأسود الدؤلي
المصدر: متحف الفنون الإسلامية، رقادة (القيروان)، رقم: Rutbi 18
شكل: 16



صفحتان مصحفتان مكتوبتان "بخط المشق"، على رق أبيض، مشكولتان على طريقة أبي الأسود قبل إدخال الإضافات التي زاداها كل من تلميذه: "نصر" و"يحيى" زمن الحجاج المصدر: معروض في مزاد علني: صلاة سام فوغ - لندن، بون تراقيم.

شكل: 17



صفحة من مصحف نسخ على رق أزرق في النصف الثاني من القرن: 4 الهجري، بخط كوفي قديم خال من التنقيط

المصدر: متحف القنون الإسلامية، رقادة (الفيروان)، رقم: Rutbi 196

توجد صفحات منه أيضا في متحف بروكلين بنيويورك، تحت رقم: 1995.51a-b

شكل: 18



صفحة من مصحف نسخ على ورق أسود نسخ في القرن: 4 الهجري، بخط كوفي قديم مجرد من التنقيط

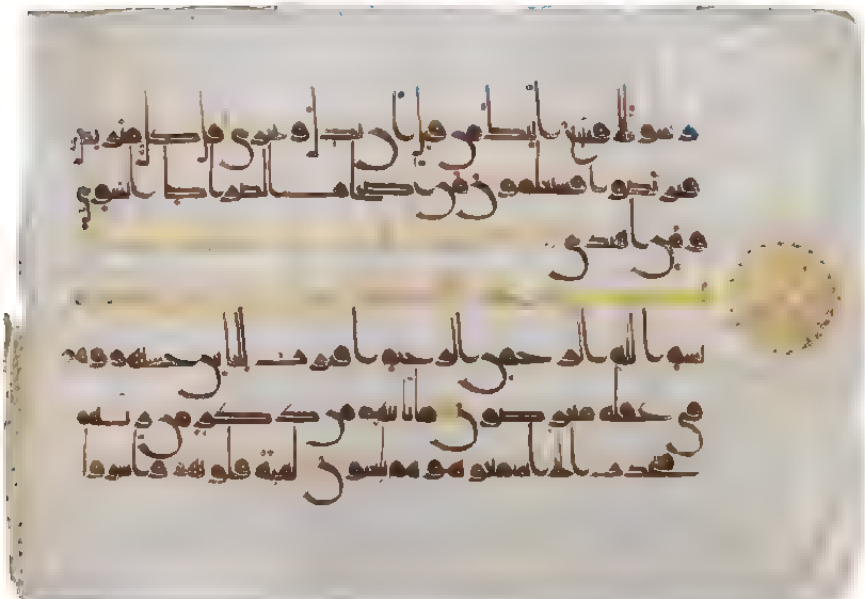
المصدر: جامعة كوبنهاغن - الدنمارك، دون ترقيم

شكل: 19



صفحة من مصحف نسخ في القرن: 4 الهجري على رق بني، بخط كوفي قديم على طريقة أبي الأسود الدؤلي. يظهر في أعلى الصفحة تسلسل الحروف وإرسالها، فضلا عن رسم بعض أشكالها وفق صور مبتكرة
المصدر: متحف الآثار التركية والإسلامية - استانبول

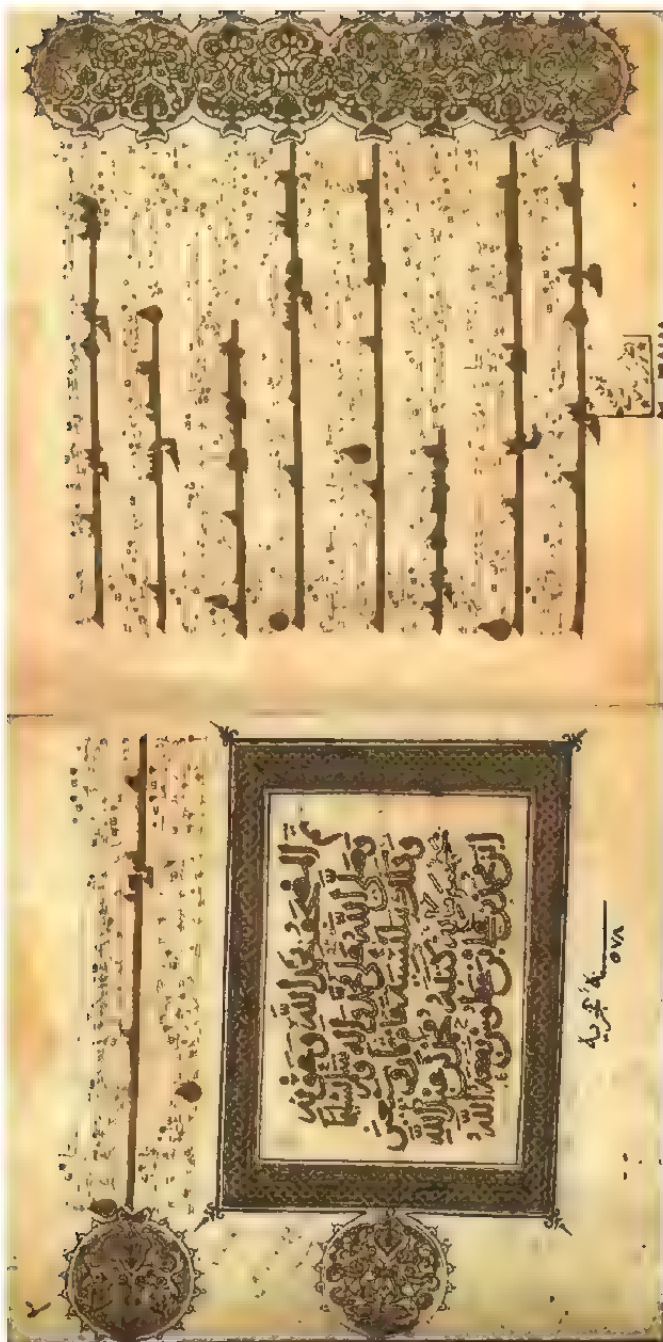
شكل: 20



صفحة من مصحف نسخ على رق أبيض في نهاية القرن: 4 وبداية القرن: 5 الهجريين، بخط قيرواني مبكر على طريقة أبي الأسود الدؤلي

المصدر: متحف الفنون الإسلامية، رقدة (القيروان)، رقم: 33 Rutbl

شكل: 21



الصفحتان الأخيرتان من مصحف ابن خطوس، كتبه صاحبه بخط اندلسي دقيق سنة: 578هـ/1182م

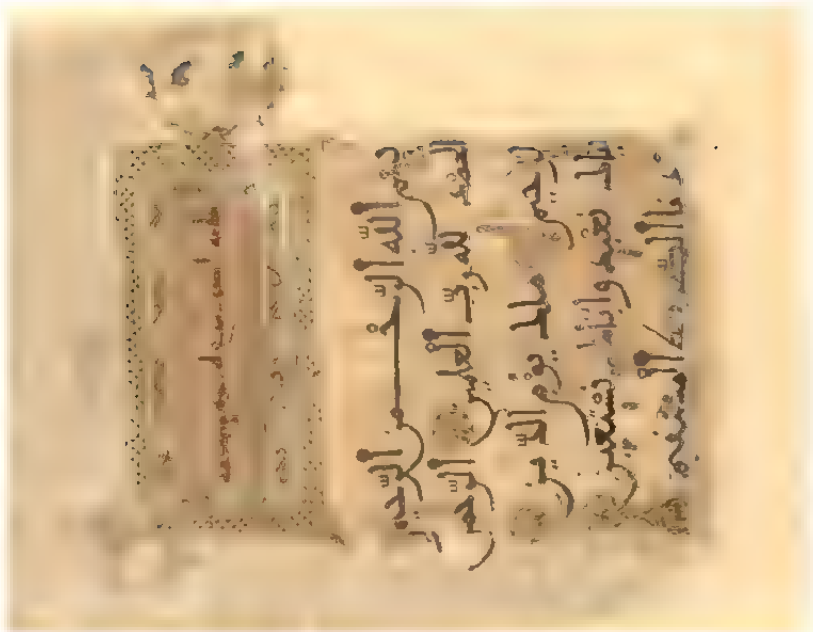
المصدر: مكتبة جامعة استنبول، قسم يلدز، رقم: A6754

شكل: 22

وَالسَّارِكِ وَالسَّارِكَةِ
الْمُتَعَفِّفِ وَالْمُتَعَفِّفَةِ
جَهْلًا لِيَعْدِلَ اللَّهُ
إِلَهُكَ كَمَا ظَلَمْتَ
مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّؤُوفِ الرَّحِيمِ
اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ
وَالْمُؤْمِنَةِ وَالْمُؤْمِنِ
وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِ

مصحف يحمل تاريخ: 597هـ/1200م. ينتمي إلى عهد الناصر الموحدي (594 - 610هـ/1198 - 1213م)
المصدر: خزانة المخطوطات، رقم: Vat.ar.214 fols
شكل: 23



صفحتان من ربيعة المرتضى الموحدي (646 - 665 هـ / 1248 - 1266 م)، التي انتهى من كتابتها
 بخط يمينه سنة: 656 هـ / 1258 م، ثم حبسها على "جامع السقاية" الذي بناه بمدينة مراكش
 المصدر: خزانة ابن يوسف - مراكش، رقم: 432/1

شكل: 24



مصحف نسخ في سنة: 1250/هـ 648م بعد تولي أبي يوسف يعقوب بن

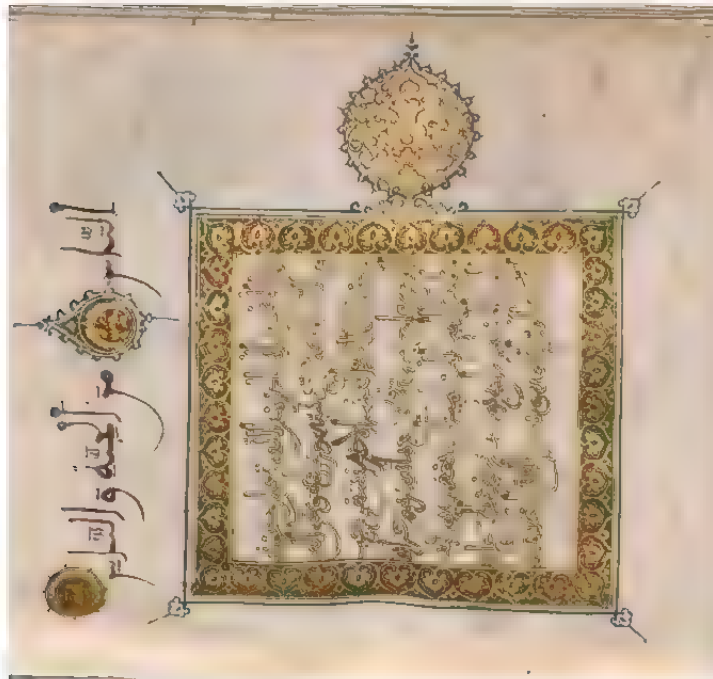
عبد الحق المريني السلطة بسنة (647 - 685/هـ 1249 - 1286م)

المصدر: المكتبة الوطنية - باريس، رقم: 217

شكل: 25



صفحة من مصحف كتب بماء الذهب سنة: 700هـ/1300م، في عهد
 أبي يعقوب يوسف المريني (685 - 706هـ/1286 - 1306م)
 المصدر: متحف المتروبوليتان للفنون - نيويورك، رقم: Rogers Fund, 1937 (37.21)
 شكل: 26



الصفحتان الأخيرتان من الجزء الأخير من مصحف أبي يعقوب يوسف المريني
(685 - 706 هـ / 1286 - 1307 م). (كتب برسم خزانته سنة: 705 هـ / 1306 م)

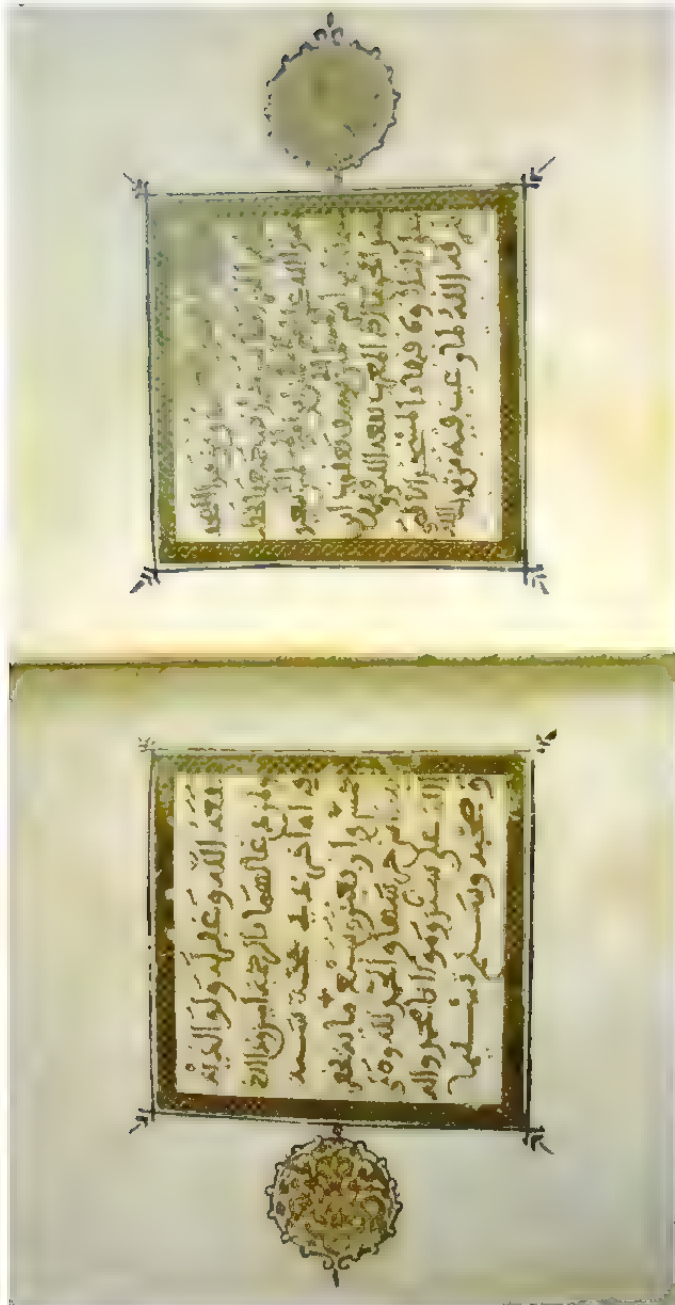
المصدر: مكتبة ميثاق (ميونخ) - ألمانيا، رقم: Cod. arab. 3

شكل: 27



خاتمة الجزء السادس عشر من ربيعة أبي سعيد عثمان بن يعقوب المريني (710 - 731هـ/1310 - 1331م)
 المصدر: مجموعة عبد الحي الكتاني التي آلت إلى: المكتبة الوطنية - الرباط، رقم: 2849.
 ضمن ملف يحتوي على قطع قرآنية مختلفة مكتوبة على الرق.

شكل: 28



خاتمة من ربيعة أبي الحسن المريني (731 - 749هـ / 1331 - 1348م)، كتبها بخط يده سنة:

1345هـ / 1745م، ووقف على بيت المقدس

المصدر: المتحف المقدسي بالمسجد الأقصى، رقم: م/ش/30.

شكل: 29

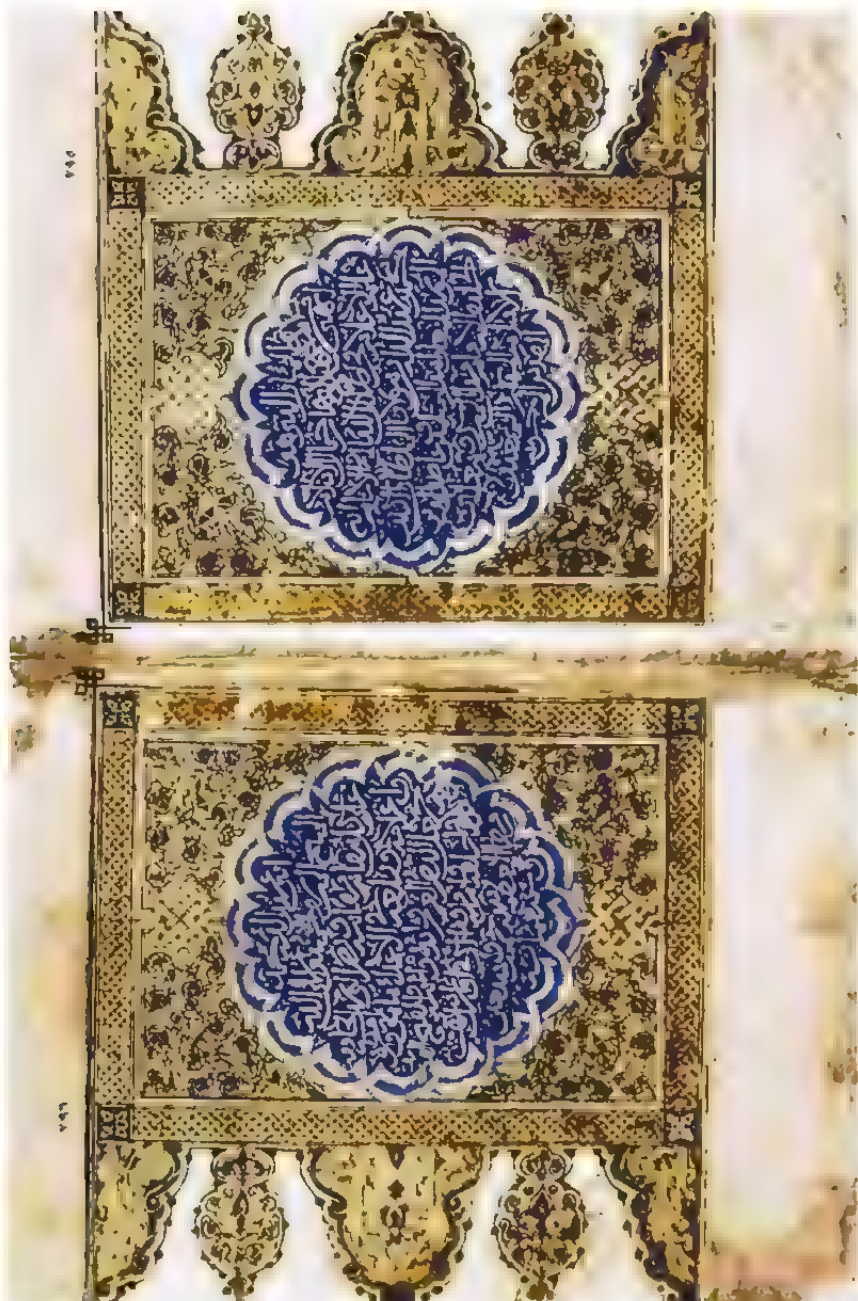


خاتمة مصحف الأميرة السعدية بنت السلطان: محمد الشيخ السعدي.

كتب برسم خزانها بتاريخ: 967هـ/1560م

المصدر: المكتبة الوطنية - الرباط، رقم: ج 656.

شكل: 30



مصحف كتب برسم خزائن عبد الله "الغالب" السعدي (964 - 982هـ/1557 - 1574م)

سنة: 1567هـ/1575م

المصدر: مكتبة برينش، لندن، رقم: 18969

شكل: 31



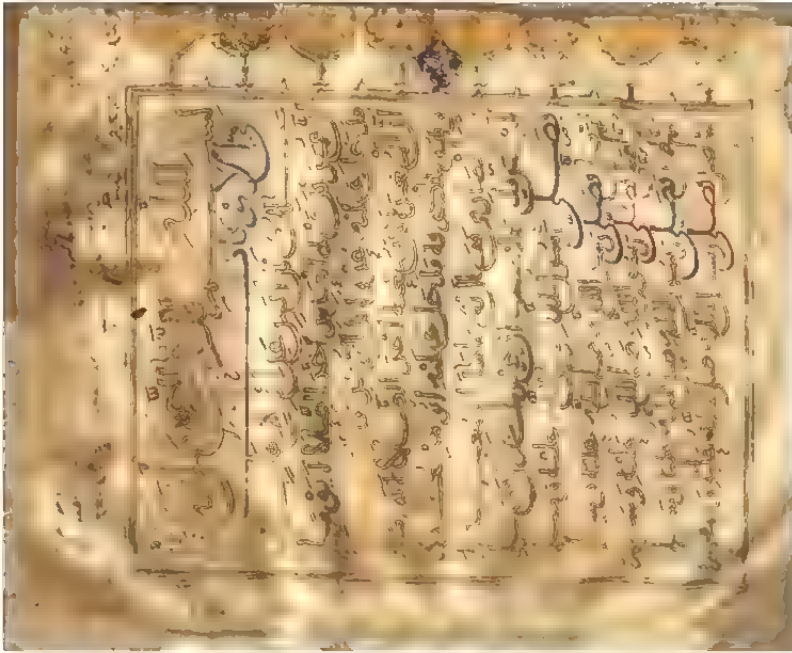
مصحف كتب برسم خزنة أحمد المنصور الذهبي (986 - 1012 هـ / 1578 - 1603 م) سنة: 1008 هـ / 1599 م.
انتهى امره إلى ابنه: زيدان الذي تعرضت خزنته للقرصنة في الفترة ما بين: 1021 و 1082 هـ / 1671 و 1671 م.
قال في نهاية المطاف إلى مكتبة دير الأسكوريال بإسبانيا.
المصدر: دير الأسكوريال، إسبانيا، رقم: 1340.

شكل: 32

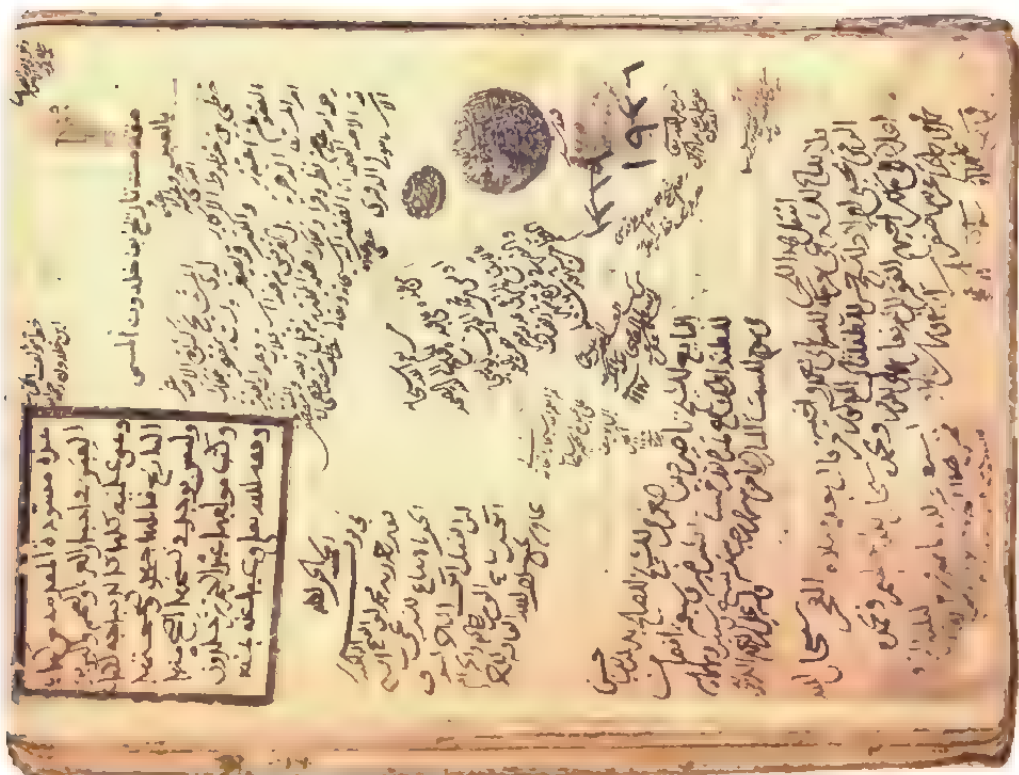


صفحتان من أواخر "حزب سبح" من مصحف السلطان الطوي: عبد الله بن إسماعيل (1142هـ/1729م).
المصدر: دار الكتب، القاهرة، رقم: (مصحف. 25)

شكل: 33



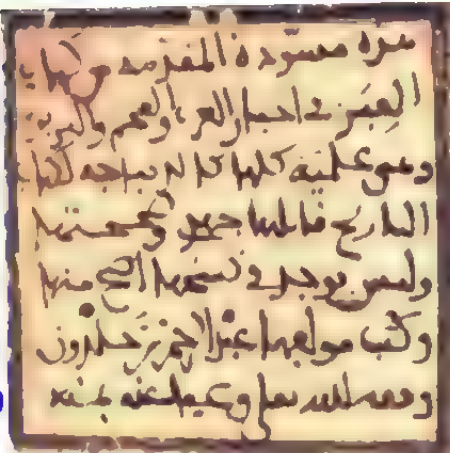
صفحتان مختارة كتبت على رق الغزال، من مخطوط "محاذي الموطأ"،
 لمحمد بن تومرت مهدي الموحدين (524هـ/1129م)
 المصدر: خزانة القرويين - فاس، رقم: 181
 شكل: 34



نسخة من المقدمة، كتبها ابن خلدون بخط يده
المصدر: مكتبة عاطف أفندي - استانبول، رقم: 1936

تتضمن الزاوية العليا للورقة من جهة اليسار ما يلي:

هذه مسودة المقدمة من كتاب
العبر في أخبار العرب والعجم والبربر
وهي علمية كلها كالديباجة لكتاب
التاريخ، قابلتها جهدي وصحتها
وليس يوجد نسخها أصح منها
وكتب مؤلفها عبد الرحمن بن خلدون
وفقه الله تعالى وعفا عنه بمنه



خط ابن خلدون على نسخة المقدمة المحفوظة بمكتبة عاطف أفندي باستانبول
شكل: 35

القراءة بالتتابع حسب الأسطر:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله
أجرت لهؤلاء السادة والعلماء القادة
أهل التحصيل والإفادة، والفضل والإجادة
والإبداء في الكمال والإعادة، جميع ما سألوه
ورجوه من الإجازة، وأمّلوه على شروطه المعقّبة
عند العلماء البررة، وأخبرهم أن مولدي
عند العلماء البررة، وأخبرهم أن مولدي
في غرة رمضان عام اثنين وثلاثين وسبع مائة
والله تعالى ينفعنا وإياهم بالعلم وأهله ويجعلنا
من سلكي سبيله، وكتب بدار عبد الرحمن بن محمد بن خلدون
الحضرمي المالكي في منتصف شعبان، عام
سبعة وتسعين وسبع مائة.

نص الإجازة:

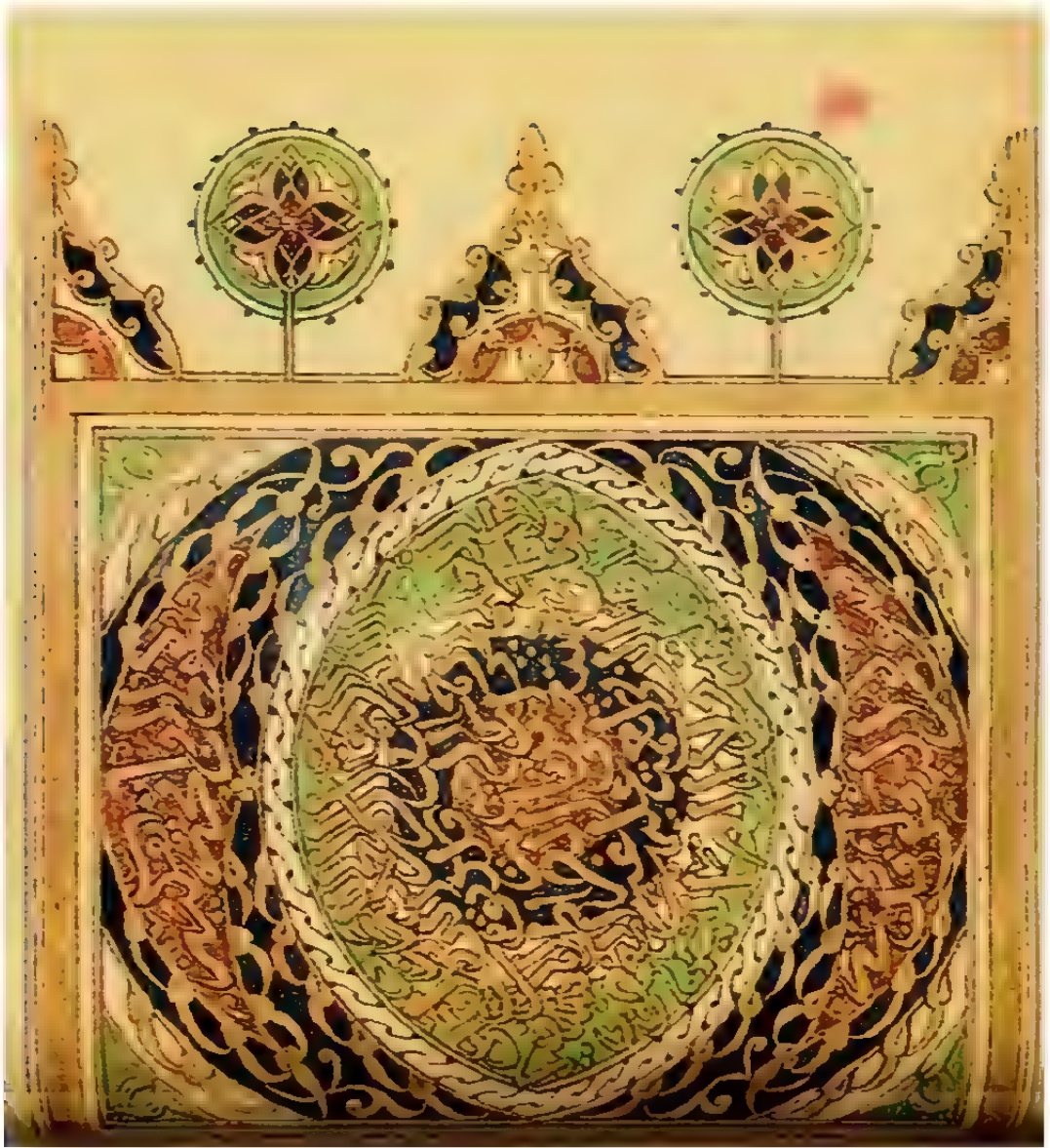
المجتهد والفاضل، المشتهر برسول الله
لهذا السادة والعلماء العظام
أهل التبحر والافتاد، والفضل والأحاديث
والإبداء في العلم والأعلاء، جميع ما سألوه
ورجوه من الإجازة، وأمّلوه على شروطه المعقّبة
عند العلماء البررة، وأخبرهم أن مولدي
في غرة رمضان عام اثنين وثلاثين وسبع مائة
والله تعالى ينفعنا وإياهم بالعلم وأهله ويجعلنا
من سلكي سبيله، وكتب بدار عبد الرحمن بن محمد بن خلدون
الحضرمي المالكي في منتصف شعبان، عام
سبعة وتسعين وسبع مائة.

الصفحة الثانية من إجازة ابن خلدون لمجموعة من العلماء، من ضمنهم ابن حجر العسقلاني صاحب فتح الباري



صفحة من مخطوط: "عمل من طب لمن حب". مكتوب بخط مؤلفه لسان الدين ابن الخطيب، وهو مخطوط طبي يعتني بوصف الأدوية وأنواعها
مكتوب بخط مجوهر متأثر بالثلث المغربي والميسوط، ألفه ابن الخطيب برسم خزانة
السلطان أبي سالم بن أبي الحسن المريني سنة: 760هـ/1358م.
المصدر: خزانة الفرويين - فاس، رقم: 607.

ملحق يتضمن بعض الأنماط التركيبية
في الثلث المغربي



مصحف مغربي محفوظ بخزانة المسجد النبوي بالمدينة المنورة، رُكِّبت فاتحته بخط الثلث المغربي في شكل بيضوي يتجلى من خلاله؛ تناسق الخط والزخرفة إلى حد يصعب معه التمييز بينهما، وتظهر سورة الفاتحة مركبة على أرضية ملونة، يغطي عليها كل من اللونين: الأخضر والأزرق القاتم، إضافة إلى اللون الأحمر، حيث اتخذت شكل عين كاملة السمات بما في ذلك حاجبها. علاوة على أجزاء العين الداخلية؛ كالقرحية والبؤبؤ اللذان رُسمَا خلف الكتابة، وقد تداخلت كل هذه العناصر في شكل زخرفي بديع.

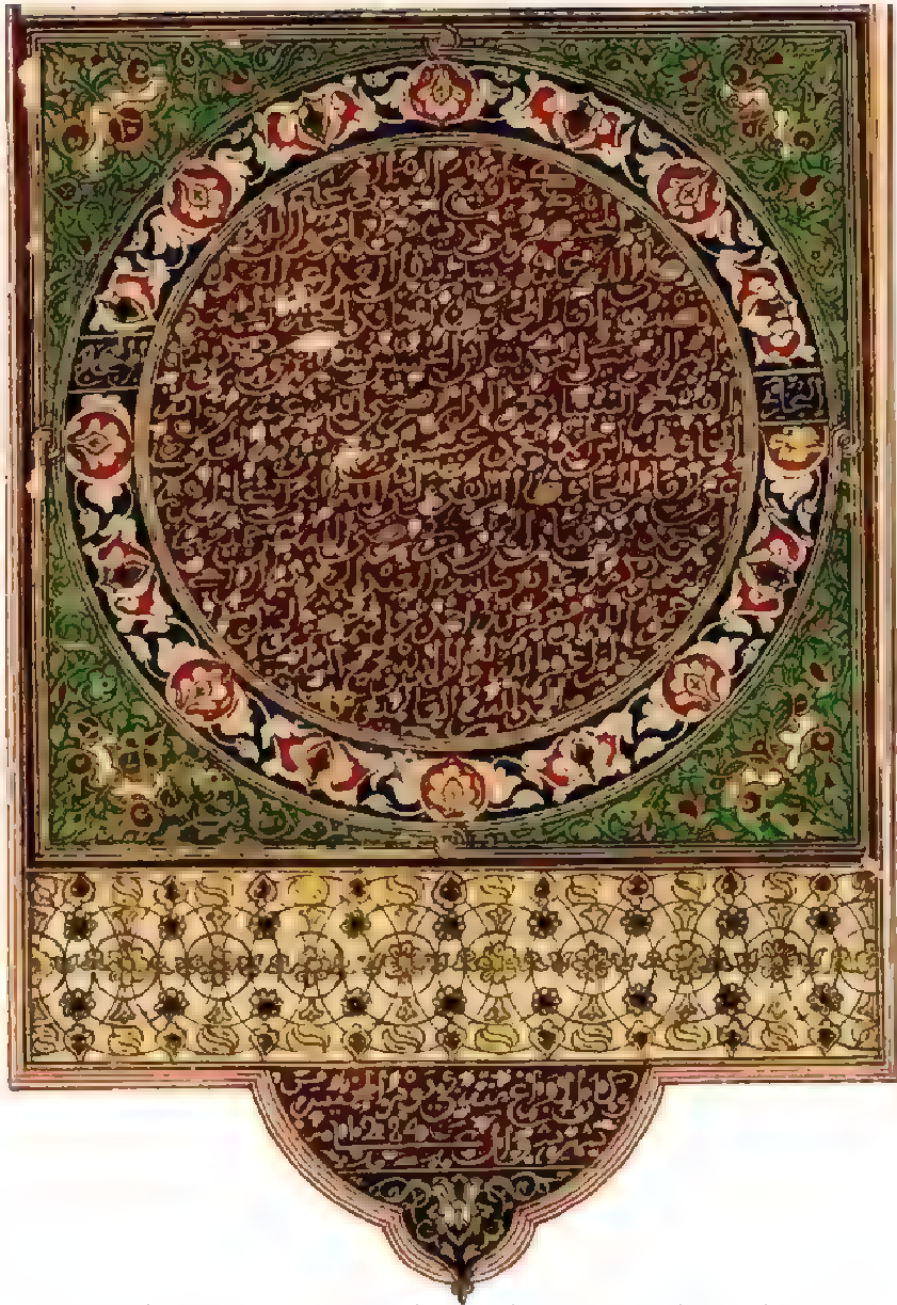
شكل: 38



لوحة لوزية تتخذ صورة عين آدمية، تم تشكيلها عن طريق تركيب المقاطع الباليوغرافية لخط الثلث المغربي، مستخرجة من كتاب دلائل الخيرات، ترجع إلى القرن 16 حسب إفادة المصدر المعني (العصر السعدي)
المصدر: المتحف الفني - هافارد آرثر. شعبة الفن الإسلامي والهندي

Harvard Arthur M. Sackler Museum, Don de Philip Hofer , 1984.464.11

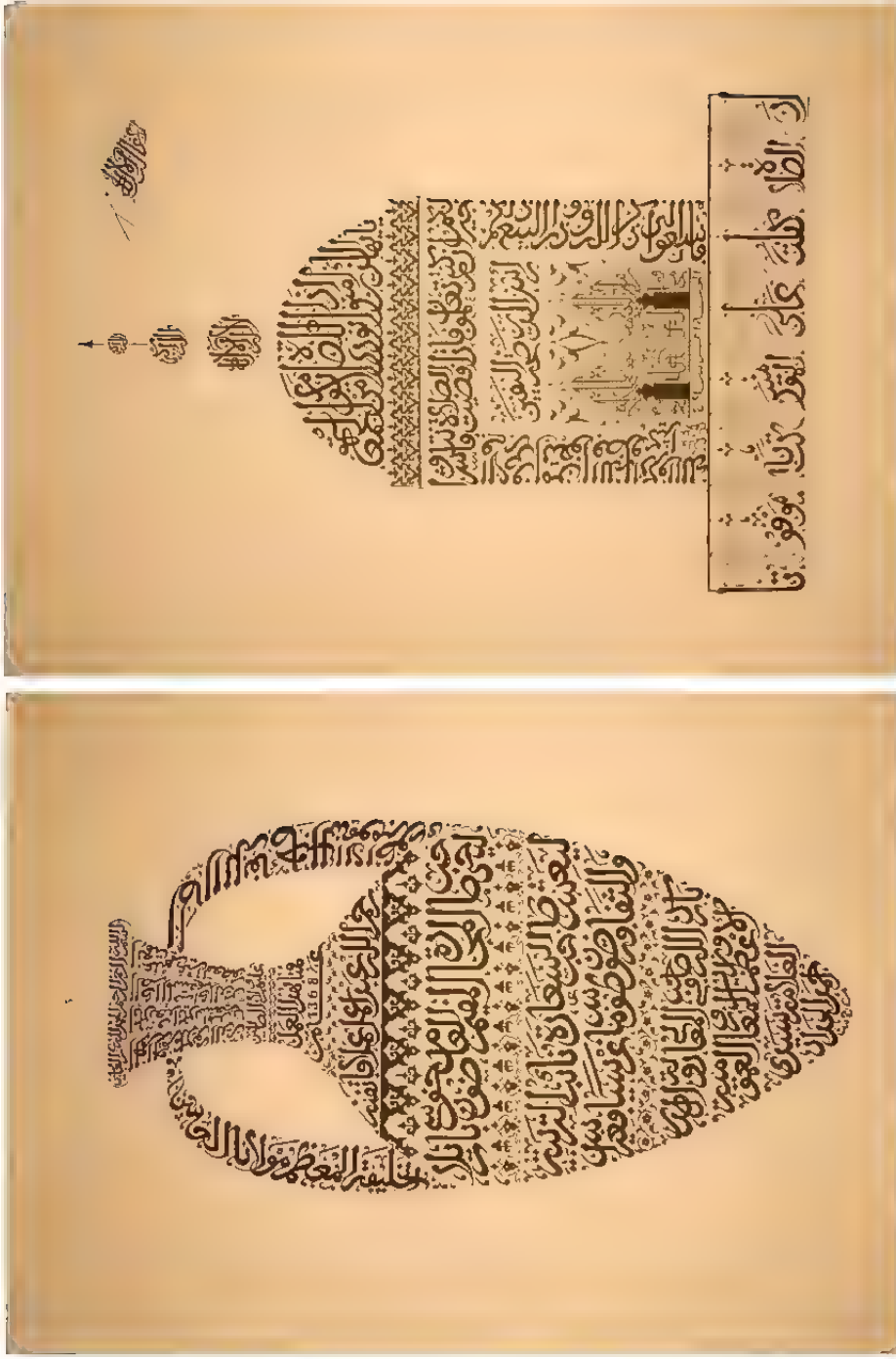
شكل: 39



لوحة مستخرجة من مخطوط جامع لأحاديث نبوية، منتقاة من صحيح مسلم. نَقَّحَهَا أَحْمَدُ بْنُ قَاسِمٍ بْنِ قَدُورٍ (1284/1867م) بِخَطِ الثَّلَاثِ الْمَغْرِبِيِّ الْمُرَكَّبِ عَلَى شَكْلِ شَمْسٍ، تَحِيطُ بِهِ مَخْتَلَفُ الزَّخَارِفِ النَّبَاتِيَّةِ فِي إِشَارَةٍ إِلَى أَشْعَةِ الشَّمْسِ الْمُنْبَثِقَةِ مِنْهُ
المصدر: الخزائنة الحسنية - الرباط ، رقم: 7319

شكل: 40

الصفحة 37 : 55- من الكراسية الخامسة لتعليم الخط، للخطاط محمد بن الحسين السوسي التي نشرت في سنة: 1949. وتمثل خط الثلث المغربي المركب في اشكال مستلهمة من الواقع



شكل: 41



لوحة على شكل مزهرية بخط الثلث المغربي، من عمل محمد بن العياشي سكبرج أحد المدرسين بالمعهد العلمي بطنجة. مؤرخة في أول ذي الحجة 1375هـ/ 8 غشت سنة 1956م¹⁷⁶
شكل: 42

المصادر والمراجع

- ابن الأبار (أبو عبد الله محمد بن عبد الله الفضايعي)، التكملة لكتاب الصلة، تحقيق: عبد السلام الهراس، دار الفكر، لبنان، 1995م، ج/2
- ابن القاضي (أبو العباس أحمد بن محمد المكتاسي):
- + المنتقى المقصور على مآثر الخليفة المنصور، دراسة وتحقيق: محمد رزوق، مكتبة المعارف، الرباط، 1986م.
- + جنوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام بمدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1973م.
- + درة الحجال في أسماء الرجال، تحقيق: محمد الأحمد أبو النور، دار التراث، القاهرة، المكتبة العتيقة، تونس، دت، ج/3.
- ابن الحاج العبدري (أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد الفاسي)، "المدخل إلى تنمية الأعمال بتحسين النيات، والتنبيه على بعض البدع والعوائد التي انتحلت وبيان شناعتها وقبحها"، مكتبة دار التراث، القاهرة، دت، ج/4.
- ابن القطان المراكشي (أبو محمد علي بن حسن الكتامي)، نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمن، تحقيق: محمود علي مكي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى: 1990م.
- ابن النديم (محمد بن إسحاق البغدادي)، الفهرست، تحقيق: إبراهيم رمضان، دار المعرفة، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية: 1997م.
- ابن الوردي (زين الدين عمر بن مظفر)، التاريخ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1996م، ج/2.
- ابن بشكوال (أبو القاسم خلف بن عبد الملك)، الصلة في تاريخ أئمة الأندلس، عني بنشره وصححه وراجع أصله: السيد عزت العطار الحسيني، مكتبة الخاتجي، الطبعة الثانية، 1955م.
- ابن خاقان (الفتح بن أحمد بن غرطوج)، قلاند العقين، طبعة: مصر، 1866م.
- ابن خلدون (عبد الرحمن):
- + المقدمة، تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية: 1988م.

- + "كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، في أيام العرب والعجم والبربر، ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر"، تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية: 1988م، ج/3.
- + رحلة ابن خلدون، أو مايسمى بـ "التعريف بابن خلدون ورحلته شرقا وغربا"، عارضها بأصولها وعلق على حواشيتها: محمد بن تايوت الطنجي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى: 2004م.
- ابن عبد الملك المراكشي (أبو عبد الله محمد الأنصاري)، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تحقيق: إحسان عباس، محمد بن شريفة، بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، تونس، الطبعة الأولى: 2012م، أجزاء 1 - 2 - 5.
- ابن عسك (أبي عبد الله) و ابن خميس (أبي بكر)، أعلام مالقة، المسمى: "مطلع الأنوار ونزهة البصائر والأبصار"، تقديم وتخريج وتعليق: عبد الله المرابط الترغي، نشر مشترك: دار الأمان، الرباط. ودار العرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى: 1999م.
- ابن مرزوق (محمد)، المسند الصحيح الحسن، في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن، تحقيق: مارييا بيغيرا، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981م.
- ابن منظور (أبو الفضل محمد بن مكرم)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة: 1993م، ج/9 - 13.
- أرسلان (علي أل)، الخط العربي عند الأتراك، ترجمة: سهيل صابان، مجلة الدارة، العدد الأول، السنة الثالثة والثلاثون، 2007م.
- أفا (عمر) و المغراوي (محمد)، "الخط المغربي، تاريخ وواقع"، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2007م.
- أفا (عمر)، لمحة عن حركة فن الخط في المغرب، مجلة دعوة الحق، عدد: 377، السنة 45، 2004م.
- الأثاري (شعبان بن محمد)، العناية الربانية في الطريقة الشيعانية، تحقيق: هلال ناجي، مجلة المورد، المجلد الثامن، العدد الثاني، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1979م. صص: 221 - 284.
- البشاري (أبو عبد الله محمد المقدسي)، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، دار صادر، بيروت، مطبعة بريل، الطبعة الثانية، ليدن، 1906م.
- البكري (أبو عبيد)، كتاب المغرب في حلى إفريقية والمغرب، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د.ت.

- البلغيثي (أحمد بن المأمون)، الابتهاج بنور السراج. شرح منظومة: "سراج طالب العلوم" للعربي بن عبد الله المستاري، مطبعة محمد أفندي مصطفى (المطابع المصرية)، 1901م، ج/1.
- التوحيدي (أبو حيان)، رسالة في علم الكتابة، نشرت ضمن كتاب: "ثلاث رسائل لأبي حيان التوحيدي"، تحقيق: إبراهيم الكيلاني، المعهد الفرنسي بدمشق للدراسات العربية، 1951م.
- الداني (أبو عمرو عثمان بن سعيد)، المحكم في نقط المصاحف، تحقيق: عزة حسن، دار الفكر، دمشق، الطبعة الثانية: 1997م.
- الرفاعي (أبو العباس أحمد بن محمد القسطلاني):
- + نظم لأبي السمط في حسن تقويم بديع الخط"، تحقيق: هلال ناجي، مجلة المورد، العدد الرابع، المجلد الخامس عشر، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1986م. صص: 173 - 184.
- نشرها المنوي أيضاً في كتابه: "تاريخ الوراقة المغربية"، على شكل ملحق، صص: 215 - 220.
- + حلية الكتاب ومنية الطلاب، نسخة نسخها: محمد بن محمد بن محمد عبد القادر التادلي سنة: 1274هـ/1857م، محفوظة بمكتبة جامعة الملك سعود، ضمن مجموع يتألف من مخطوطين، تحت رقم: 5308.
- الرفاعي (بلال عبد الوهاب)، الخط العربي تاريخه وحاضره، دار ابن كثير، دمشق، 1989م.
- السائح (الحسن)، دفاعاً عن الفنون الإسلامية، منشورات عكاظ، ماي 2002م.
- السنجاري (محمد بن الحسن)، بضاعة المجدود في الخط وأصوله، تحقيق: هلال ناجي، مجلة المورد، العدد الرابع، المجلد الخامس عشر، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1986م. صص: 250 - 256.
- الصفدي (صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله)، الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركلي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، سنة: 2000م، ج/3.
- الصولي (أبو بكر محمد بن يحيى)، أدب الكتاب، عني بتصحيحه: محمد بهجة الأثري، المكتبة السلفية، القاهرة، 1923م. ج/1.
- الصيدأوي (عبد القادر)، وضاعة الأصول في الخط، تحقيق: هلال ناجي، مجلة المورد، العدد الرابع، المجلد الخامس عشر، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1986م. صص: 159 - 172.

- العاملي (ابن سماك)، رونق التحبير في حكم السيامة والتدبير، تحقيق: سليمان القرشي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2004م.
- القلشندي (أحمد بن علي)، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، تحقيق: يوسف علي طويل، نشر دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى: 1987م، ج/3.
- القيسي (أبو عبد الله محمد بن أحمد)، أنس الساري والسارب في أقطار المغرب إلى منتهى الآمال والمآرب، سيد الأعاجم والأعارب، تحقيق: محمد الفاسي، سلسلة الرحلات - 5 - مطبعة محمد الخامس، فاس، 1970م.
- الكرسي (عمر بن عبد العزيز)، المؤلفات الفقهية الكاملة، جمع وتحقيق: عمر أفا، مطبعة فضالة، لمحمدية، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، الطبعة الأولى: 2006م.
- المراكشي (عبد الواحد بن علي)، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، دراسة وتحقيق: الدكتور صلاح الدين الهواري، نشر: المكتبة العصرية، بيروت، الطبعة الأولى: 2006م.
- المغراوي (محمد):
- + أصول وتطور الخط المغربي، مقال مرقون.
- + الخط المغربي عند ابن خلدون، مجلة حروف عربية، العدد الرابع، السنة الأولى، 2001م.
- المقرئ (أحمد بن محمد)، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب. تحقيق: إحسان عباس، دار صادر- بيروت، الطبعة الأولى: 1997م، ج/4.
- المنوني (محمد):
- + تاريخ الوراقة المغربية، صناعة المخطوط المغربي من العصر الوسيط إلى الفترة المعاصرة، منشورات جامعة محمد الخامس، رقم: 2، كلية الآداب- الرباط، 1991م.
- + مركز المصحف الشريف بالمغرب، مجلة دعوة الحق، الرباط، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، عدد: 3، السنة الحادية عشرة، يناير، 1968م.
- الناصري (أبو العباس أحمد بن خالد)، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق ولدي المؤلف: جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1997م، ج/2.
- بنين (أحمد شوقي)، المخطوط العربي في الغرب الإسلامي، مجلة التاريخ العربي، عدد: 34. ربيع 2005م، الموقع الإلكتروني لمجلة التاريخ العربي، دون ترقيم.
- بنين (أحمد شوقي)، طوبي (مصطفى)، معجم مصطلحات المخطوط العربي: قاموس كوديكولوجي، المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش، الطبعة الأولى: 2003م.

- بنشريفة (محمد)، نظرة حول الخط الأندلسي، نشر في كتاب: المخطوط العربي، وعلم المخطوطات، تنسيق: أحمد شوقي بنين، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، مطبعة فضالة، المحمدية، الطبعة الأولى: 1994م.
- بهنسي (عفيف)، معجم مصطلحات الخط العربي والخطاطين، مكتبة لبنان ناشرون، طبعة: 1995م.
- بيوتات فاس الكبرى، شارك في تأليفه: إسماعيل بن الأحمر، دار المنصور للطباعة، الرباط، طبعة: 1972م.
- حنش (إدهام محمد)، الخط العربي في الوثائق العثمانية، دار المناهج، عمان، الأردن، الطبعة الأولى: 1998م.
- خبطة (محمد عبد الحفيظ):
- + المصحف والكتب المخطوطة في المغرب خلال العصرين المريني والسعدي. مساهمة في دراسة أصناف الخط المغربي وأقلامه، أطروحة جامعية غير منشورة، كلية الآداب - سايس. فاس 2010 - 2011م. 3 أجزاء
- + "الطغراء والأختام السلطانية وعلاقتها بإشكالية السيادة بين المغرب السعدي وتركيا العثمانية. دراسة تاريخية - فنية، وتشرح علمي - تعليمي"، مطبوعات أمينة الأنصاري، فاس، الطبعة الأولى: 2013م
- ديروش (فرنسوا)، المدخل إلى علم الكتاب المخطوط بالحرف العربي، ترجمة: أيمن فؤاد سيد، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن، 2005م.
- ذنون (يوسف)، قديم وجديد في أصل الخط العربي وتطوره في عصوره المختلفة، مجلة المورد، من إصدار دار الشؤون الثقافية، بغداد، عدد: 1986م.
- سكيرج (عبد الكريم)، الخط العربي المغربي، مجلة الثقافة المغربية، العدد الثاني، شتنبر 1941م، صص: 67 - 72، نقلا عن المنوني، الوراقة المغربية، ملحق، ص: 321 - 322.
- شوحان (أحمد)، رحلة الخط العربي من المسند إلى الحديث، من منشورات اتحاد الكتاب العرب دمشق، 2001م.
- عوني (الحاج موسى) و خبطة (محمد عبد الحفيظ)، مصحف السلطان أبي الحسن صلة وصل بين فاس والقدس الشريف. نشر في كتاب: فاس: التاريخ، التراث والإشعاع الثقافي، تنسيق: سمير بوزوينة والحاج موسى عوني، كلية الآداب والعلوم الإنسانية - سايس، فاس، مطبعة الأفق، 2008م، صص: 5 - 28.

- عوني (موسى الحاج)، فن المنقوشات الكتابية في الغرب الإسلامي، مؤسسة الملك عبد العزيز، الدار البيضاء، منشورات عكاظ 2010م.
- هوداس (أوكتاف)، محاولة في الخط المغربي، ترجمة: عبد المجيد التركي، قضايا ثقافية من تاريخ الغرب الإسلامي، (نصوص ودراسات)، دار الغرب الإسلامي، 1988م. صص: 443 - 478.
- واصل (محمد بن أحمد)، أحكام التصوير في الفقه الإسلامي، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في الفقه الإسلامي، كلية الشريعة بالرياض، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، السنة الجامعية: 1417هـ/1996م.
- ياقوت الحموي (شهاب الدين أبو عبد الله بن عبد الله الرومي)، معجم الأندباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى: 1993م.

- Castries, Henry de La Croix, Les sources inédites de l'histoire du Maroc. Première série, Dynastie Saadienne (1530-1660). Archives et bibliothèques des Pays-Bas, Paris, Paul Geuthner, 1923. TomeVI
- N. van den Boogert, 'Some notes on Maghribi script', in Manuscripts of the Middle East, vol. 4, Leiden, 1989,

الصفحة	فهرس الأشكال والصور
19	- شكل: 1: مقارنة بين القطة المحرفة في القلم المشرقي والقطة المبسوطة والمديبة في القلم المغربي.
45	- شكل: 2: مقطع من إحدى صفحات كتاب: "كشف الظنون" لمحمد بن عبد الله الحافظ النيسابوري، نسخها ابن الشيخ الأكبر بخط مجوهر أعجمت حروفه على الطريقة المشرقية.
46	- شكل: 3: جزء من الصفحة الأولى لمخطوط: "جامع البيان عن تأويل القرآن"، نسخة ترجع إلى القرن: الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، كتبت بطريقة غريبة غير معهودة، فهي خالية من الشكل والإعجام بشكل كلي، مما يذكرنا بالبدايات الأولى للخط العربي في صورته الأولى.
48	- شكل: 4: اختلاف شكل الزلفه والترويس بين الخط المغربي والخط المشرقي، تبعاً لاختلاف شكل النقطة بينهما.
51	- شكل: 5: الأبعاد الهندسية للبسملة في الخط المبسوط (مستخرجة من مصحف نسخ في سنة: 1250/هـ 648م خلال عهد أبي يوسف يعقوب المريني).
55	- شكل: 6: كلمات مستخرجة من مصحف أبي يعقوب يوسف المريني (705/هـ 1305م)، تبين كيفية استغلال أحواض النون والراء، لرسم تراجم الأخماس والأعشار والأحزاب.
69	- شكل: 7: لوحة تتضمن بعض الصور المبتكرة في الخط المجوهر خلال العصر العلوي.
70	- شكل: 8: توقيعان عليان بخط مجوهر، أحرفه ملتوية بشكل ثعباني على غرار الديواني المشرقي - العثماني، نيلت بهما الوقفية، وهما مكتوبان على هامش إحدى الصفحات المزخرفة للمصنف الذي كتب سنة: 705/هـ 1305م، برسم خزانة السلطان أبي يعقوب يوسف المريني.
70	- شكل: 9: أنموذج للديواني القديم، استخرجناه من "فرمانان" للسلطان محمد الثاني (854 - 885/هـ 1451 - 1481م).
71	- شكل: 10: توقيع لعبد الله "الواثق" بن محمد السعدي، متوج بالحملة والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو بخط مجوهر جليل - سعدي. استخرجناه من رسالة له إلى هولندا بتاريخ: 11 ذو القعدة 1068/هـ 10 غشت 1658.
73	- شكل: 11: مقارنة دلالية بين المجوهر الجليل الذي أبدعه حميد الخربوشي والديواني الجلي الذي أبدعه العثمانيون في طور النشوء (القرن 17).
74	- شكل: 12: مقارنة دلالية بين المجوهر الجليل الذي أبدعه حميد الخربوشي والديواني الجلي في مرحله المتأخرة قبيل سقوط الدولة العثمانية.
95	- شكل: 13: صور مختلفة للام الآلف، وقفنا عليها في المصاحف والكتب المخطوطة التي درسناها.
96	- شكل: 14: لوحة تركيبية تمثل بعض الصور التجسدية لحروف وقفنا عليها في بعض المخطوطات التي قمنا بدراستها.
100	- شكل: 15: صفحة من مصحف الأمير الزيري: "المعز بن باديس"، نسخ على رق بني سنة: 410/هـ 1019م، بخط كوفي قديم على طريقة أبي الأسود الدؤلي.
100	- شكل: 16: صفحة من مصحف نسخ سنة: 413/هـ 1022م، على رق أبيض، بخط كوفي قديم على طريقة أبي الأسود الدؤلي.
101	- شكل: 17: صفتان مصحفتان مكتوبتان "بخط المشق" على رق أبيض، مشكولتان على طريقة أبي الأسود قبل إدخال الإضافات التي زادهما كل من تلميذه: "نصر" و"يحيى" زمن الحاج.
102	- شكل: 18: صفحة من مصحف نسخ على رق أزرق في النصف الثاني من القرن: 4 الهجري، بخط كوفي قديم خال من التنقيط.
102	- شكل: 19: صفحة من مصحف نسخ على ورق أسود نسخ في القرن: 4 الهجري، بخط كوفي قديم مجرد من التنقيط.

103	- شكل: 20: صفحة من مصحف نسخ في القرن: 4 الهجري على رق بني، بخط كوفي قديم على طريقة أبي الأسود الدؤلي. يظهر في أعلى الصفحة تسلسل الحروف وإرسالها، فضلا عن رسم بعض أشكالها وفق صور مبتكرة.
103	- شكل: 21: صفحة من مصحف نسخ على رق أبيض في نهاية القرن: 4 وبداية القرن: 5 الهجريين، بخط قيرواني مبكر على طريقة أبي الأسود الدؤلي.
104	- شكل: 22: الصفحتان الأخيرتان من مصحف ابن غطوس، كتبه صاحبه بخط أندلسي دقيق سنة: 1182/578م.
105	- شكل: 23: مصحف يحمل تاريخ: 597/1200م، ينتمي إلى عهد الناصر الموحدي (594 - 610/1198-1213م).
106	- شكل: 24: صفتان من ربعة المرتضى الموحدي (646 - 665/1248 - 1266م)، التي انتهى من كتابتها بخط يمينه سنة: 656/1258م، ثم حبسها على "جامع السقاية" الذي بناه بمدينة مراكش.
107	- شكل: 25: مصحف نسخ في سنة: 648/1250م بعد تولي أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق المريني السلطة بسنة (647 - 685/1249 - 1286م).
108	- شكل: 26: صفحة من مصحف كتب بماء الذهب سنة: 700/1300م، في عهد أبي يعقوب يوسف المريني (685 - 706/1286 - 1306م).
109	- شكل: 27: الصفحتان الأخيرتان من الجزء الأخير من مصحف أبي يعقوب يوسف المريني (685 - 706/1286 - 1307م). (كتب برسم خزانته سنة: 705/1306م).
110	- شكل: 28: خاتمة الجزء السادس عشر من ربعة أبي سعيد عثمان بن يعقوب المريني (710 - 731/1310 - 1331م).
111	- شكل: 29: خاتمة من ربعة أبي الحسن المريني (731 - 749/1331 - 1348م)، كتبها بخط يده سنة: 745/1345م، ووقف على بيت المقدس.
112	- شكل: 30: خاتمة مصحف الأميرة السعدية بنت السلطان: محمد الشيخ السعدي. كتب برسم خزانها بتاريخ: 967/1560م.
113	- شكل: 31: مصحف كتب برسم خزانة عبد الله "الغالب" السعدي (964 - 982/1557 - 1574م) سنة: 975/1567م.
114	- شكل: 32: مصحف كتب برسم خزانة أحمد المنصور الذهبي (986 - 1012/1578 - 1603م) سنة: 1008/1599م. انتهى أمره إلى ابنه: زيدان الذي تعرضت خزانته للقرصنة في الفترة مابين: 1021 و1082/1612 و1671م، فال في نهاية المطاف إلى مكتبة دير الأسكوريال بإسبانيا.
115	- شكل: 33: صفتان من أواخر "حزب سيج" من مصحف السلطان العلوي: عبد الله بن إسماعيل (1142/1729م).
116	- شكل: 34: صفتان مختارة كتبت على رق الغزال، من مخطوط "محاذي الموطأ"، لمحمد بن تومرت مهدي الموحدين (524/1129م).
117	- شكل: 35: خط ابن خلدون على نسخة المقدمة المحفوظة بمكتبة عاطف أفندي باستاتبول.
118	- شكل: 36: الصفحة الثانية من إجازة ابن خلدون لمجموعة من العلماء، من ضمنهم ابن حجر العسقلاني صاحب فتح الباري.
119	- شكل: 37: صفحة من مخطوط: "عمل من طب لمن حب". مكتوب بخط مؤلفه لسان الدين ابن الخطيب، وهو مخطوط طبي يعتني بوصف الأدوية وأنواعها مكتوب بخط مجوهر متأثر بالثلث المغربي والمبسوط، ألفه ابن الخطيب برسم خزانة السلطان أبي سالم بن أبي الحسن المريني سنة: 760/1358م.

121	- شكل: 38: مصحف مغربي محفوظ بخزانة المسجد النبوي بالمدينة المنورة، رُكبت فاتحته بخط الثلث المغربي في شكل بيضوي يتجلى من خلاله؛ تناسق الخط والزخرفة إلى حد يصعب معه التمييز بينهما، وتظهر سورة الفاتحة مركبة على أرضية ملونة، يغطي عليها كل من اللونين: الأخضر والأزرق القاتم، إضافة إلى اللون الأحمر، حيث اتخذت شكل عين كاملة السمات بما في ذلك حاجبها، علاوة على أجزاء العين الداخلية؛ كالقزحية والبؤبؤ اللذان رسما خلف الكتابة، وقد تداخلت كل هذه العناصر في شكل زخرفي بديع.
122	- شكل: 39: لوحة لوزية تتخذ صورة عين آدمية، تم تشكيلها عن طريق تركيب المقاطع الجيولوجية لخط الثلث المغربي. مستخرجة من كتاب دلائل الخيرات، ترجع إلى القرن 16 حسب إفادة المصدر المعني (العصر السعدي).
123	- شكل: 40: لوحة مستخرجة من مخطوط جامع لأحاديث نبوية، منتقاة من صحيح مسلم. نَمَقَهَا أحمد بن قاسم بن قدور (1284هـ/1867م) بخط الثلث المغربي المركب على شكل شمسي، تحيط به مختلف الزخارف النباتية في إشارة إلى أشعة الشمس المنبثقة منه.
124	- شكل: 41: الصفحتان: 37 - 55 من الكراسة الخامسة لتعليم الخط للخطاط محمد بن الحسين السوسي. تمثلان خط الثلث المغربي المركب في أشكال مستلهمة من الواقع.
125	- شكل: 42: لوحة على شكل مزهرية بخط الثلث المغربي، من عمل محمد بن العياشي سكيرج أحد المدرسين بالمعهد العلمي بطنجة. مؤرخة في أوئل ذي الحجة 1375هـ/8 غشت سنة 1956م.

الصفحة	فهرس الموضوعات
3	مدخل.
16	الفصل الأول: الخطوط اللينة في العصرين المريني والسعدي، تأصيلها التاريخي، إشكالية تنوعها، مؤسساتها التعليمية، وعلاقتها بالخطوط المشرقية المزامنة لها (دراسة تركيبية - شمولية).
43	الفصل الثاني: قانون الإعجام والإهمال في الخط المغربي.
49	الفصل الثالث: ملاحظات جوهرية حول بعض الحروف من حيث التجريد والتجسيد، وقوانين تركيب صورها في الخط المغربي خلال العصرين المريني والسعدي (دراسة مقارنة).
97	خلاصات.
99	ملحق يتضمن بعض المخطوطات الموظفة في التحليل الفني.
120	ملحق يتضمن بعض الأتماط التركيبية في الثلث المغربي.
126	المصادر والمراجع.
132	فهرس الأشكال والصور.
135	فهرس الموضوعات.

محمد عبد الحفيظ خبطة الحسني

ولد بمدينة فاس سنة 1976

حاصل على الدكتوراه في تربية التاريخ (2010 - 2011)

في موضوع:

"المصاحف والكتب المخطوطة في المغرب خلال العصرين:

البرني والسعدي. مساهمة في دراسة أصناف الخط المغربي وأعلامه"

جامعة سيدي محمد بن عبد الله

كلية الآداب والعلوم الإنسانية، سايس - فاس



لوحة لمحمد بن الحسين السوسي البهاوي